سلسلة النصوص الفلسفية
(١١)

جدل الحب والحرب

تأليف

هيرقليطس

ترجمة وتقديم وتعليق

مجاهد عبد المنعم مجاهد

١٩٨٠

دار الثقافة للطباعة والنشر
بالقاهرة
٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة
ت : ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة

[illegible]

سلسلة النصوص الفلسفية
(١١)

جدل الحب والحرب

تأليف

هيرقليطس

ترجمة وتقديم وتعليق

مجاهد عبد المنعم مجاهد

١٩٨٠



٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة
ت : ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء...

إلى الدكتور زكي نجيب محمود

فكل ما يعطيه لنا – كما أعطانا هيرقليطس – هو أن نفكر ؟

مجاهد عبد المنعم مجاهد

الفهرس

الموضوع | الصفحة

تصدير

لم يكتب فيلسوف اليونان العظيم هيرقليطس كتابا بعنوان « جدل الحب والحرب » ، لكنه كتب مؤلفا بعنوان « فى الطبيعة » ، ثم ضاع الكتاب ولم تبق سوى شذرات جمعها الدارسون فى ١٢٦ شذرة تضاف إليها ١٥ شذرة تحاط بالشك فى صحة نسبتها إليه . ولقد أعطى الدارسون هذه الشذرات أرقاما ثابتة تظل هكذا فى جميع الترجمات .

ولقد قمت بنوع من المونتاج الجديد لهذا الشذرات بحيث أكون منها حلقات متصلة فأحاول أن أملأ ما بينها من فجوات فاحتفظت بأرقام الشذرات كما هى لكنى أعدت ترتيبها فى سياق يكشف عن طبيعة تفكير هيرقليطس وجعلتها تحت عنوان « جدل الحب والحرب » حيث أن هاتين المقولتين تلعبان الدور الأساسى فى تفكيره .

ولقد استفدت من التقسيم الذى وضعه هويلرايت فى كتابه عن هيرقليطس والذى ترجم ضمن كتاب « هيرقليطس فيلسوف التغير » باشراف الدكتور على سامى النشار . لكنه عنون الشذرات تحت عناوين موضوعات تقليدية . ولما كنت قد قمت فى الأساس بقراءة هيجلية هيدجرية فى ضوء مشكلة الاغتراب بحديها من التشيؤ والتكامل فقد وضعت الشذرات تحت عناوين تحمل تصاعدا فى فهم مشكلة الاغتراب .

ولاشك أن هذه الطريقة سوف تصدم الأكاديميين الحارجيين البرانيين .. ولكن لما كانت عينى على قارىء عربى معاصر له اهتماماته خارج نطاق الجامعة ،

ولما كنت على بينة أن الفلاسفة لا يتفلسفون حول موضوعات بل حول إشكالات وأنهم يعيشون عصرهم فإننى أتوجه باعتذار حار إليهم ، خاصة وأن التعليقات التى وضعتها للشذرات ليس لها صلة بما جرى عليه العرف من التعليقات فى إطار لغوى أو تاريخى ، بل جملتها تعليقات إيحائية تفتح كيف كان هيرقليطس إرهاصا بعدد كبير من الأفكار التى تردد صداها فى التفكير الفلسفى من بعده .

ولقد صدرت الترجمة والتعليقات بدراسة عن الحب الذى يقاتل باعتبار أن هذه هى الفكرة المحورية فى تفكير هيرقليطس وجملتها على نحو بحيث تلقى ضوءا عاما على الشذرات وتكمل شرح الشذرات فى وقت واحد وسبقتها بلوحة قصيرة عن هيرقليطس والمراجع التى استندت إليها .

ولما كان الدكتور زكى نجيب محمود يجمع بين صفتين هما الأكاديمية وانفتاحه على القارىء المعاصر ، ولما كان صاحب وضوح فكرى وكان صاحب أسلوب مشرق ، وكان صاحب اتجاه دفعنا نحن أبناؤه إلى الاختلاف معه فأرجو أن يتقبل إهدائى له هذه الطريقة فى المونتاج والتعليق والتقديم لمفكر كان واضح الفكر بزعم التواء عباراته .. فللدكتور زكى نجيب محمود مع هيرقليطس فضل أن منحانا أن نفكر ؟

مدينة المقطم　　　　　　　　مجاهد عبد المنعم مجاهد

١٩٨٠/٢/٢٥

هيرقليطس ـ لوحة خارجية :

فيلسوف يونانى ولد فى افسوس بآسيا الصغرى حوالى ٥٤٠ ق . م وهو من أسرة أرستقراطية عين كبيرا للكهنة لكنه رفض المنصب وتوفى حوالى عام ٤٧٥ ق : م قال عنه سقراط إن ما فهمه من كتاباته شىء عظيم وما لم يفهمه شىء عظيم بالمثل غير أن كتاباته تحتاج إلى غواص ماهر . وشذراته المتبقية يمكن أن نجدها فى :

Freeman,K. :Ancilla To The Pre—Socratic Philosophers

(إعتدنا عليه فى ترجمة الشذرات) :

Kirk, G.s. And Raven, Y. *E.* : The Pre—Socratic Philosophers.

Vogel, C.Y.De. Greek Philosophy.

المراجـــع

٤٣٠ أمـــيرة مطر : الفلسفة عند اليونان .

١٣٣٤ عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى .

١٤٩٥ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام .

١٤٩٧ على سامى النشار وآخرون: هيرقليطس فيلسوف التغير .

٢٣٦٥ هيـــدجر : نداء الحقيقة(ترجمة عبد الغفار مكاوى).

٢٤٥٨ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية .

2810 Bullock, A. And Stallybrass, O. (*Eds*) :
Fontana Dictionary of Modern Thought

2816 Burner, Y. :
Greek Philosophy

3249 Freeman, K. :
Ancilla To The Pre—Socratic Philosophers

3347 Gomperz, T. :
Greek Thinkers

3395 Guthrie :
Greek Philosophy

3445 Hegel :
Lectures On The History of Philosophy

3459 Heidegger, M. :
Early Greek Thinkers

3538 Hyland, D. A. :
The Origins of Philosophy

3936 Marias, Y. :

History of Philosophy

4374 Russell, B. :

A History of Western Philosophy

4556 Stace :

A Critical History of Greek Philosophy

4910 Zeller :

Outline History of Greek Philosophy

إقتراحات بقراءات أخرى

Ramoux :

Vocabulaire *Et* Structures De Penseé Archaique Chez Heraclite (1950) .

لقد كانت الفلسفة محظوظة منذ بدايتها الأولى لأن أى فيلسوف مذهبى نسقى هو فى الوقت نفسه الذى حدد لها وظيفتها الأساسية .. فالفيلسوف اليونانى القديم هيرقليطس أدرك منذ الوهلة الأولى أن الفلسفة ليس لها موضوع محدد وأنها طريق ، ومن ثم تصبح لها مهمة ، وهذه المهمة هى إيقاظ النفوس - والايقاظ يتم عنده بالتساؤل .. يقول فى الشذرة رقم (٣٥) من الشذرات المتبقيات من كتاباته . « الذين يحبون الحكمة يجب أن يكونوا متسائلين عن أشياء عديدة فى الحقيقة » . وهذا التساؤل عنده يستهدف الكشف عن علل الأشياء .. ولقد قال هيرقليطس كما يروى عنه ديوجين اللائيرسى : « الحكمة الوحيدة هى معرفة السبب الذى يحكم الكل » (عن : ٣٤٤٥ الجزء الأول : ٢٩٤)(*) .. إن عملية إيقاظ النفوس عند هيرقليطس هى والفلسفة شيء واحد .. جاء فى الشذرة رقم (٨٩) « بالنسبة للايقاظ هناك كون منظم واحد مشترك (بالنسبة للجميع) على حين أن كل إنسان فى النوم يشيح (عن هذا العالم) إلى عالم خاص به . » . هذه هى الوظيفة الأولى للفلسفة : البحث عن الأرض المشتركة بين النفوس المستيقظة ، البحث عن أرض الحب الموحدة والمجمعة والتخلص من الكراهية التى هى البحث عن الأرض المنفردة بين النفوس النائمة .. إن الأرض المشتركة هى أرض العقل ، لأن العقل واحد عند الجميع .. أما الأرض المنفردة فهى أرض اللاعقل .. يقول جوثرى فى كتابه « تاريخ الفلسفة اليونانية » . « إن الإنسحاب إلى عالم خاص بالفرد يعنى نزع العنصر العقلانى بمنعه عن اللاجوس [أو العقل الكلى] والحق الذى يجب أن تتغذى عليه » (٣٣٩٥ . الجزء الأول . ٤٣١) .

(*) يشير الرقم الأول بين القوسين إلى رقم المرجع حسب القائمة السابقة والرقم الثانى هو رقم الصفحة .

وهكذا تحددت منذ بدايات الفكر الفلسفى فى إطاره النسقى البحث عن الأرض المشتركة ، أرض المحبة والتجميع . . وهذا ما دفع الفيلسوف الألمانى الوجودى المعاصر مارتن هيدجر إلى اعتبار الفلسفة هى (الحكمة فى المحبة) وليس محبة الحكمة كما يظن بالفلسفة عادة .

وفى الوقت نفسه حدد هيرقليطس ممارسة هذه الفلسفة وهى التخلص من الاغتراب ، فقد أدرك البعد الجدلى فى حركة النائمين . . فهم بالرغم من نومهم وأن عالمهم عالم خاص محصور فى ذاتيتهم الضيقة وغرقهم فى النزعة اللاعقلية إلا أن فعل الاغتراب أو التشيؤ عندهم يؤثر فى البشر المستيقظين محاولين سلبهم يقظتهم أو وجودهم الحقيقى .. يقول فى الشذرة (٧٥) : « إن أولئك النائمين إنما يعملون ويشاركون فى أوجه النشاط الجارية فى الكون » . . ومن ثم لابد من قتالهم .. وعلى هذا تصبح الحرب ضرورة من ضرورات الفلسفة لأنها ضرورة من ضرورات الحياة للقضاء على هؤلاء النائمين .. يقول فى الشذرة رقم (٥٣) « الحرب هى ملك الجميع وأب الجميع ، ولقد أظهرت البعض على أنهم آلهة وأظهرت البعض الآخر على أنهم بشر ، لقد جعلت من البعض عبيدا والبعض الآخر أحرارا » . . إنها الحرب المحررة لفرز السادة عن العبيد . لكن السادة هنا ليس بمعنى التسيد بل بمعنى الباحثين عن الأرض المشتركة ، أرض العقل ، أرض الحب . والعبيد ليس بمعنى الخضوع ، بل بمعنى المتشيئين النائمين الذين يريدون أن يشدوا السادة إلى عالمهم السفلى .. وهؤلاء المتشيئون غارقون فى النوم وفى عالمهم الخاص الذاتى « إنهم لا يفهمون وإن كانوا يسمعون ، إنهم أشبه بالصم . والمثل ينطبق عليهم : حاضرون ولكنهم غائبون » (الشذرة رقم ٣٤) إذن هذه الحرب المشروعة ليست حربا فى ذاتها ، ولكنها حرب من أجل الحب ، فالحب هو المختفى خلف هذه الحرب .. إن الحب هو الفارس المقاتل . . إنه أداة التوحيد وهدف التوحيد فى الوقت نفسه و « وعندما تنصت - لا لى - بل للوجوس أو القانون أو العقل فإن من الحكمة الاتفاق على أن الأشياء جميعا

واحدة » (الشذرة رقم ٥٠) .. ولقد أدرك هيرقليطس أن الحرب تفرز معادن الناس .. إن العالم مليء بالضرورة والقانون والعقل . ولكن الإنسان يسقط إحساسه ومفاهيمه الخاصة فيفرز الأشياء وفق أهوائه . . تقول الشذرة رقم (١٠٢) : « بالنسبة للآلهة كل الأشياء جميلة ورائعة وعادلة ، ولكن الناس هم الذين يفترضون فى بعض الأشياء أنها جائرة وفى بعضها الآخر أنها عادلة » .

إن هيرقليطس واقف بالمرصاد ضد النائمين الذين يعتبرهم الدهماء فأفضل الناس يفضلون شيئا واحدا على ما عداه فهم يفضلون المجد الخالد .. وهو يشبه هؤلاء الدهماء بالحمير التى لا تستطيع أن تتبين جوهر الأشياء . وهؤلاء الدهماء تقوم مواقفهم على التعصب الذى هو أرض اللاعقل ، أرض النائم وحده ، فالتعصب هو الداء المقدس .

لقد وصف الفيلسوف هيرقليطس بالغامض أو الملغز أو المظلم والسبب فى هذا طريقة صياغاته لعباراته فقد أدرك منذ فجر الفلسفة أن وظيفتها إيقاظ النفوس .. وهذا الإيقاظ يتنافى مع العبـــارات التقريرية والآمرة التى تجعل النفوس تنفر وبدل أن تستيقظ تزيد من تمسكها بعالمها الجزئى ، عالم النائمين .. إن الفلسفة يجب أن تصاغ فى عبارات موحية حتى إذا تغلغلت فى النفس وآمن بها الناس استيقظوا .. فكأن استيقاظهم نابع من داخلهم هم . . ولعل هذا ما قد التقطه الفيلسوف الحديث فريدريك نيتشة عندما هدم القيم القديمة ودعا إلى قيم جديدة ثم قال لمخاطبه : وعليك ألا تتبعنى .. لقد أدرك هيرقليطس إذن الوحدة العضوية بين الفلسفة وطريقة التعبير عنها .. فلما كانت الفلسفة طريقاء يجب التعبير عنها بطريقة التوجيه نحو الطريق بحرية .. ولهذا لجأ إلى طريقة ملغزة موحية فى التعبير .. ولقد أدرك هو بنفسه طبيعة صياغاته .. يقول فى الشذرة (٩٣) : « إن الرب الذى تقوم معجزته فى معبد دلفى لا يفصح ولا يخفى ولكنه يلمح » . ويوضح زيلر فى كتابه « خطوط عريضة لتاريخ الفلسفة

اليونانية » : « يشتغل عقله بالحدس أكثر مما يشتغل بالمفاهيم وهو يتوجه إلى المركب أكثر مما يتوجه إلى تحليل ما هو مطروح » (٤٩١٥ : ٤٥) . إن هذه الطريقة تدفع الإنسان إلى أن يتفكر وإلى أن يتيقظ وقد اشتكى أفلوطن قائلا: « يبدو أنه يتكلم وهو يبتسم غير عابىء بأن يجعل معناه جليا ، ربما لأنه يرى أنه يجب أن نبحث فى أنفسنا كما بحث هو فى نفسه بنجاح » (٣٣٩٥ : ٤١١) .. إن التفكير يبدأ من لحظة اعتام .. وهو يريد الخروج من هذه الحالة إلى حالة الإنارة بعد إعمال التفكير .. لكنه لا يريد أن ينسى اللحظة الفاعلة فى التفكير، وهى أنها لحظة « جدلية » ليس فيها اعتام كامل ولا وضوح كامل .. ولهذا يقول هيدجر عنه : « يوصف هيرقليطس بأنه المظلم وسوف يحتفظ فى المستقبل بهذا الاسم غير أنه هو المظلم لأنه — بالسؤال — يتجه بفكره نحو الإنارة » (٢٣٦٥ : ٤١٢) .

فى الإعتام إذن يبدأ التفكير .. فى الإعتام ليست الأشياء واضحة .. لا يدرك الناس طريقهم الحقيق .. لا يعرفون وسائلهم فى المعرفة تماما ولا يعرفون تماما كيف يسيطرون على مصائرهم .. إنهم يظنون أن الحواس شهود سليمة للمعرفة وهيرقليطس لا يعترض هذا .. لكن الحواس وسيلة ممتازة للمعرفة لمن لهم نفوس مستيقظة مشتركة معملين فى معرفتهم الحسية العقل .. لكن هذه الحواس بالنسبة للنائمين المتشيئين شهود سيئة .. فالعيون والآذان شهود سيئة عند الناس الذين لهم نفوس بربرية .. وحتى يضمن هيرقليطس ألا تكون العيون والآذان شهود سيئة للمعرفة يلجأ إلى العقل .. والعقل عنده ليس مجرد ملكة من ملكات المعرفة ، بل هو أيضا الشيء الموحد .. إنه هو نفسه الحب .. فالعقل هو روح التوحيد : « ملكة التفكير مشتركة بين الجميع» (الشذرة رقم ١١٣) إن العقل هو الباحث عن الأرض المشتركة : « إذا تكلمنا بالعقل فيجب أن نؤسس قوتنا على ما هو مشترك بين الجميع بمثل ما تؤسس المدنية قوتها على القانون (العقل) » (الشذرة رقم ١١٤) وهيرقليطس على وعى تام

بما فى الإنسان من جانب عقلى لكنه يتجه إلى العقل الذى فى العالم ومن ثم يدرك الطبيعة الجدلية للتفكير العقلى : الصراع مع اللا عقل فى النفس والواقع على السواء .

غير أن هذا اللوجوس Logos أو العقل الذى هو روح التوحيد والوحدة ، روح الحب الجمع للبشر لا يرتبط به كل الناس . وبسبب عدم الارتباط هذا يتشيأ الإنسان وتصبح كل الأشياء غريبة : « إن اللوجوس أو العقل الكلى بالرغم من أن الناس يرتبطون به ايما ارتباط إلا أنهم منفصلون عنه ولهذا فإن تلك الأشياء التى يواجهونها يوميا تبدو لهم غريبة » (الشذرة رقم ٧٢) . . العقلانى إذن هو انسحاب من الجزئى والعرضى واندماج فيما هو كلى وضرورى وهذه هى الأرض المشتركة بين الأيقاظ . . ويشرح الفيلسوف الألمانى فريدريك هيجل هذا عندما يقول فى الجزء الأول من : « محاضرات حول تاريخ الفلسفة » : « إن العقلانى الحقيقى الذى أعرفه هو فى الحقيقة انسحاب موضوعى ، انسحاب عما هو موجود حسيا وجزئيا ومحدودا ، ولكن ما يعرفه العقل داخل ذاته هو الضرورة ، أو كلية الوجود ، إنه قانون الفكر كما أنه قانون العالم » (٣٤٤٥ : ٢٩٦) أجل . . إن اللوجوس هو قانون الفكر كما أنه قانون العالم إنه ملكة المعرفة والتفكير وهو الكاشف عن الضرورة فى العالم ، وهو الرابطة الموحدة لأن الضرورة ليست إلا ترابط الأشياء وفق علل وأسباب وهذا هو التفلسف : « إن ما يتصف بالحكمة أمر واحد : هو تفهم الغرض الذى يوجه الأشياء جميعا ويسيرها من خلال الأشياء جميعا » (الشذره رقم ٤١) .

ويقول هيرقليطس ان كل بهيمة تساق للمرعى بالضرب ، لكن الإنسان عند هيرقليطس يساق بالعقل : ولقد التقط خيط العقلى أو اللوجوس من تراث القرن الخامس قبل الميلاد وما قبله . . ولقد كان لهذا اللوجوس أحد عشر معنى كما أحصاها جوثرى فى كتابه « الفلسفة اليونانية » وهذه المعانى هى :

١ — اللوجوس هو أى شيء يقال ، قصة أو حكاية مروية ، سواء كانت خيالية أم تاريخا حقيقية . وهو أيضا شرح لأى موقف أو أية ظروف ، إنه الحديث أو المناقشة بصفة عامة .

٢ — اللوجوس يعنى القيمة أو التقدير . وكان الكاتب المسرحى اليونانى سوفوكلس يقول إن حماية الله يقال إنها بلا قيمة Logos مسألة ليست بالأمر الهين . ويقال أيضا وضع الإنسان فى اللوجوس يعنى تكريمه . وكان الكاتب المسرحى اليونانى أسخيلوس يقول إن رب الأرباب زيوس ليس لديه تقدير Logos للموتى .

٣ — اللوجوس كان يعنى أيضا الحديث إلى النفس فى تعارض مع ما هو حى ، لأن الحديث مع النفس خروج عما هو مباشر .

٤ — كان اللوجوس يعنى أيضا العلة أو السبب أو الحجة وكان سوفوكلس يقول : لماذا أرسلت وبعثت بالانتخاب الالهية ، لأى سبب Logos ؟ ويقول سوفوكليس أيضا : لماذا تظل صامتا دونما سبب Logos ؟

٥ — كان اللوجوس يعنى حقيقة المسألة وكان الملوك الحقيقيون يوصفون بأنهم ملوك باللوجوس الحق .

٦ — كان يعنى أيضا المعيار أو المقياس أو المرتبة . وكان يقال : لم يصل كثير منهم إلى مرتبة Logos الشيخوخة .

٧ — كان يعنى كذلك المطابقة والعلاقة والتناسب ، وكان يقال : إننى مثل الذهب أختبر بالرصاص وهناك نسبة Logos من التفوق فىّ . وكانت الكلمة تعنى أيضا المبدأ العام أو القانون أو القاعده أو ملكة التفكير . وهذا ما أخذ به هيرقليطس بصفة خاصة .

٨ — كانت الكلمة تعنى المبدأ العام ، وجاءت بهذا المعنى أيضا فيما بعد فى القرن الرابع قبل الميلاد . وقد تحدث أرسطو فى كتابه « فلسفة الأخلاق » عن اللوجوس أو المبدأ الحق .

٩ — بمعنى كلمة العقل وخاصة عند كتاب القرن الرابع قبل الميلاد . فيقال أن الإنسان يتميز عن الحيوان بامتلاكه للوجوس .

١٠ — كانت الكلمة تعنى كذلك التعريف أو الصياغة التعبيرية عن الطبيعة الجوهرية للأشياء .

١١ — كانت أكثر من ذلك كلمة شائعة فى اللغة اليونانية دون أن تكون مصطلحا .. يقول هيرودوت . « إن بقية اليونانيين قرروا باللوجوس المشترك أو الحسى المشترك أن يرسلوا .. إلخ .

لقد ورث هيرقليطس هذا التراث عن هذا المصطلح الفريد وبث فيه من روحه الملغزة المتجهة من الظلمة إلى النور ، واعتبر اللوجوس روح التوحيد أو التجميع الذى هو ليس إلا الحب . وهذا العقل الكلى الموحد لا يختفى أبدا ولهذا يتعجب من أولئك الذين يبتعدون عما لا يغيب .. يقول فى الشذرة رقم (١٦) « كيف يمكن أن يتسنى لأى إنسان أن يتخفى عن ذلك الذى لا يغرب أبدا ؟ » ولهذا يجب القتال دفاعا عن ذلك الذى لا يغيب أبدا . « يجب أن يقاتل الناس من أجل اللوجوس أو القانون العقلى كما لو كانوا يقاتلون دفاعا عن أسوار مدينتهم (الشذرة رقم ٤٤) ..

إن هيرقليطس يرى أن الدفاع عن الوطن واجب ، لكن الدفاع عن العقل أكثر وجوبا لأن الوطن جزئى على حين أن العقل أوسع من رقعة الوطن فهو الأرض المشتركة بين النفوس المستيقظة ، إنه أرض التوحيد ، وأرض المحبة .

إن الشىء البارز فى تصور هيرقليطس للعقل أو اللوجوس أنه ليس شيئا

متشكولا منذ البداية بل هو فى دور التكوين وسيكتمل مع تمام البشرية إذا استعرنا تعبير الفيلسوف العربى ابن رشد .. إنه « فعل » ، فعل اكتساب العقل . إنه عقل سيال متدفق حركى ملىء بالجدل ، ومن خلال هذا السيال تتبدى ضرورته ، لأنها ضرورته باعتباره ملكة ونظاما يحكم العالم . وهو فى هذا السيال المتدفق الحركى فى حالة حرب .. إنه عقل مقاتل .. يقاتل بحثا عن حقيقته وحقيقة العالم .. يقاتل من أجل تأسيس كيانه وكيان العالم .. ومن هنا فإن الحرب هى سيد الأشياء جميعاً .. والحرب تعنى وجود الأضداد ، لأنه لا حرب إلا وهى صراع ضد طرف من أجل طرف آخر .. لكن هذه الحرب محكومة بنفسها ، محكومة باللوجوس نفسه وإلا سيطر أحد الأطراف وانتهى الصراع للابد .. « إن هذه الحرب الدائمة غير مسموح لها أن تستمر بلا تنظيم ، فلو كان الأمر هكذا فيمكن فى يوم ما أن تكف إن الكون قد وجد للابد وسوف يستمر فى الوجود ، ولا يمكن ضمان هذا إذا كانت هناك إمكانية لأحد الأضداد أن يكتسب ميزة دائمة وفى الحقيقة لن يوجد تناقض إذا كان النقيض سوف يختفى » (٢٣٩٥ ، ٤٨٧) .

غير أن هذه الحرب هدفها فى النهاية الوصول إلى الحب أو ما يسميه هيرقليطس التناغم . يقول فى الشذرة رقم (٨) : « إن ذلك الذى فى تعارض لهو الشىء المتماسك ، ومن الأشياء التى تختلف يظهر أجمل تناغم » .. لكن هذا التناغم هو نتيجة توتر أو إن شئنا تعبيرا معاصراً يعبر عما يريده هيرقليطس لقلنا إنه التناغم المتوتر الملىء بالحركة والحيوية والحياة . يقول فى الشذرة (٥١) : « إنهم لا يفهمون كيف أن ما يختلف مع نفسه هو فى اتفاق : فالتناغم قائم فى التوتر بين الأضداد مثل التناغم القائم بين القوس والقيثارة » . وعظمة اللوجوس تقوم فى البحث والتقصى والنزاع بحثا عن التناغم . وهذا التناغم ليس شيئا سهلا وليس شيئا ظاهرا ، ولكنه خفى دفين ، بل إن هناك تناغمين : باطنيا وسطحيا . يقول فى الشذرة (٥٤) : « التناغم الخفى أقوى من التناغم المرئى » ، وهيرقليطس يدرك تماما جدل هذا التناغم . إنه التناغم المترتب على الحركة والصراع ، لا السكينة

والهدوء .. ولهذا يمكن اعتباره هو بحق — وليس زينون الأيلى — مؤسس علم الجدل .. لقد أدرك تماما أن التناغم هو نتيجة النزاع . يقول فى الشذرة رقم (٨٠) « يجب على الإنسان أن يعرف أن الحرب عامة والشريعة هي النزاع وكل شيء يبرز إلى حيز الوجود عن طريق النزاع والضرورة » .. إذن التناغم أو الحب هو حب مسلح يقاتل من أجل أن يتأسس . ويوضح جوثرى هذا المعنى قائلا عن هيرقليطس : « الرجل الذى قال (فى التغير تكون الراحة) لن يتردد فى القول (فى الحرب يكون السلام) » (٣٣٩٥ : ٤٤٤) .

فى الحرب يكون السلام .. هذه هى القضية المحورية فى فلسفة هيرقليطس. التغير إذن ليس حالة تعاقب بل حالة تآن .. حالة صراع .. ووراء هذا الصراع يعمل السلام .. يعمل التناغم .. يعمل الحب .. والذين يستخلصون الحب من وسط النزاع هم الأيقاظ وذلك لأنه « لا يجب أن نتصرف ولا يجب أن نتكلم مثل النائمين » (الشذرة ٧٣) .. والمستيقظون من أجل أن يوجدوا الأرض المشتركة يجب أن يقاتلوا من أجلها .. يجب أن ينتزعوها من النائمين المتشيئين . ولهذا فإن حرب هيرقليطس هى حرب اغتراب .. لقد احتج هيرقليطس على اليونانيين الذين يسجدون لعمل أيديهم .. يقول فى إحدى الشذرات المشكوك فى نسبتها إليه وهى الشذرة (١٢٨) . « إنهم (اليونانيون) يسجدون لآلهة لا تسمعهم وكأنها تسمعهم وهى لا تمنحهم شيئا بمثل ما لا تستطيع أن تطلب » .. إنه يريد لليونانى وللإنسان بالتالى أن يخرج من حالة الاستسلام لما هو سائد .. وهناك قصة تروى عن هيرقليطس تقول « إنه عندما وجد وهو يلعب بالنرد مع الأطفال وسأله المواطنون عن السبب رد قائلا : (لماذا أنتم مندهشون أيها الفضوليون للاشيء ؟ أليس هذا أفضل من التلاعب بالسياسة معكم؟) » (٣٣٩٥: ٤٠٩) إنه يريد أن يلعب مع الحقيقة ، والحقيقة أن التناغم قادم وسيادة الإنسان مؤكدة على كل ما هو موجود فهو أجمل المخلوقات .. يقول فى الشذرة (٨٢) : « إن أجمل قرد ، قبيح إذا ما قورن بالإنسان ، لكن نضال الإنسان من أجل

تأسيس جماله نضال شاق، وهو نضال يبدأ ضد الدوافع الحسية المباشرة .« صعب النضال ضد دوافع الإنسان، فمهما يكن ما نرغب فيه إنما نشتريه على حساب النفس» (الشذرة رقم ٨٥) وتزداد صعوبة الإنسان فى مواجهة الطبيعة وذلك لأن « الطبيعة تحب أن تتخفى » (الشذرة رقم ١٢٣) إنها تتخفى عن الإنسان . . فما الذى تخفيه ؟ وكيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى ما تخفيه ؟

يذكر الفيلسوف الوجودى هيدجر نقلا عن كليمنس السكندرى (من حوالى ١٥٠ إلى ٢١٥ بعد الميلاد) هذه العبارة فى كتابه (المربى) لتأييد إحدى أفكاره اللاهوتية والتربوية فهو يستشهد بشذرة هيرقليطس المتسائلة : (كيف يتسنى للإنسان أن يحجب نفسه عما لا يغيب أبداً ؟) ويقدم لها قائلا : (ربما إستطاع إنسان أن يتخفى بعيداً عن النور المدرك المحسوس ، ولكن من المستحيل عليه أن يفعل ذلك مع النور الروحى أو كما يقول هيرقليطس) » (٢٣٦٥ : ٣٦٧ — ٣٦٨) ويعلق هيدجر على هذه المسألة قائلا : « الخفاء أو التحجب هو الذى يحدد هنا اسلوب كينونة الإنسان (أو حضوره) بين الناس » (٢٣٦٥ : ٢٧٣) . . إن الحقيقة خفية ، والإنسان هو عامل يزيد فى عملية التخفى . . لكنه فى الوقت نفسه عامل على إزاحة الحجاب حتى تظهر الحقيقة . . فكأن جوهر الإنسان ممارسة الحرية . . إنه إنفتاح لكشف التحجب . . إن جوهره هو اللاتحجب . . إن « الانفتاح بما هو كذلك يميل دائما إلى الانغلاق، وفى هذا الانغلاق يبقى ذاك الانفتاح مطويا » (٢٣٦٥: ٢٩١) ويحاول هيدجر أن يبين جدل كشف الحقيقة عند هيرقليطس . . إن الإنسان بفعله ينير الوجود ويخرجه من الظلام والتحجب: « إن الآلهة والبشر لا يستضيئون فحسب بنور (معين) مهما يكن هذا النور آتيا من أعلى بحيث لا يمكنهم أبدا أن يتخفوا منه ويلوذوا بالظلام . إن النور يغمر ماهيتهم ، إنهم مستنيرون ، أى يجمعون فى حدوث الإنارة ولهذا السبب فهم لا يحجبون أبداً بل يكشفون ، على أن نفهم هذا الكشف بمعنى آخر . فكما ينتمى البعيدون إلى البعد ، كذلك يعهد بالمتكشفين — بالمعنى الذى ينبغى الآن أن نفهم

به الكشف — إلى الإنارة التى تؤمنهم وتحفظهم وترعاهم . إنهم بحسب ماتقضى به ما هياتهم موضوعون فى خفاء السر وتحجبه بسبب إرتباطهم (باللوجوس فى التجانس المؤلف بينهم أو (الهومولوجين) » (٢٣٦٥ : ٥٠٦ — ٤٠٧) .

إن جوهر الإنسان إذن عند هير قليطس هو الحرية . . أنه فعل التفتح ، الخروج من تخفى الطبيعة . . وفعل الخروج هذا هو الموصل إلى التناغم وإلى الحب وإلى روح التجميع وإلى الإيقاظ وإلى النفوس التى طرحت عن كاهلها رقادها وسباتها وإستيقظت لتؤسس الأرض المشتركة .

وهذه النفوس إنما توجد فى كون كان ويكون وسيكون إلى الأبد شعلة حية.. لقد رفض هيرقليطس أية بنية مادية أولى قال بها الفلاسفة السابقون عليه ورأى أن الكون كله بطبيعته شعلة متحركة ورمز لهذه الشعلة بالنار . . وهذه النار مادية وغير مادية معاً . . إنها نار ذات طبيعة جدلية . . إنها نار التدفق والسيال . . إنها نار الأضداد والصراع وهى فى الوقت نفسه النار التى تبقى على وحدة الاضداد والتى تبقى الصراع حيا . . إنها نار التناغم . . إنها النار التى تجعل الحرب أبا وملكا للجميع . . إنها النار التى تستخلص التناغم والحب من خلال الصراع . . إنها النار الهادية للإنسان بنورها لشق طريقه نحو إيقاظ النفوس وصولا بها إلى الأرض المشتركة ، وتخلصا من الذين استسلموا للهجعة . . يقول هيدجر : وهيرقليطس حين يتكلم عن النار يفكر قبل كل شىء فى الإنارة المادية التى تقدم المقياس وتسترده » (٢٣٦٥ : ٤٩٠) . . إن هذه النار هى سيال متدفق ، إنها التغير ، والتغير هو الزمن الدفاق ، ولهذا يقول هيجل عن نار هير قليطس : « النار هى الزمن المادى ، هى القلق المطلق ، هى التفكك المطلق للوجود ، إنتقال الآخر أو نفسه أيضاً » (٣٤٤٥ : الجزء الأول : ٢٨٧) وهذه النار هى أيضاً الحب أو التناغم . . يقول هو يلرايت فى دراسته عن هير قليطس : « إن النار تفرق ثم تجمع ثانية ، إنها تتقدم وتتقهقر » (١٤٩٧ : ٤٩) ويضيف نفس المفكر قائلا:

« إن النار الهيرقليطية .. نار طبيعية وأكثر من طبيعية فى وقت واحد ، إن لها مظهراً نفسيا (كالاسراع الداخلى والاشتعال) ولها مظهرا ميتافيزيقيا (كالعملية الخالدة) ولها مظهر أخلاق » (١٤٩٧ : ١٠٥) ثم يوضح طابعها المادى والفلسفى معا : « النار التى يتحدث عنها ليست طبيعية ولاميتافيزيقية ، إنها طبيعيـــة وميتافيزيقية معا لأنها اللهب المغذى وهى محسوسة الرؤية الخارجية . إنها نمو داخلى وهى فى الوقت نفسه الحقيقة الكلية للتغير المستمر » (١٤٩٧:١٢١) .

وهذه النار هى أيضا اللجوس .. إنها العقل المتحرك .. وهى أيضا القـانون الحافظ للنفس الإنسانية .. يقول جوثرى : « ليس من الخطأ التوحيد بين النار واللوجوس وتتفق مع الرواقيين وهيبو ليتوس عندما يقولون إن نارهيرقليطس (عقلانية ومسئولة عن تدبير العالم كله) » (٣٣٩٥ : ٤٣٢) إن هذه النار ، نار العقل هى كذلك الضرورة الحاكمة للجميع .. إن هذه النار هى الزمن المتبقى من التغير .. لقد قال هيرقليطس : « لا يمكن للإنسان . أن ينزل فى النهر الواحد مرتين (فيستحيل أن يلمس المادة الفانية نفسها مرتين ولـكن من خلال سرعة التغير) تتبعثر المياه وتتجمع ثانية (أو بالأحرى لا تتجمع حتى « ثانيـة » أو « فيما بعد » ، لـكن التجمع والإنفصال متزامنان) وتتقارب وتنفصل » (الشذرة رقم ٩١) إنها النار التى هى الزمن الممتلىء و « إن هـــيرقليطس يفهم العملية التجريدية على أنها الزمن . وينقل سكستوس نقلا عنه : (الزمن هو الوجود المتجسد الأول) » (٣٤٤٥ : الجزء الأول : ص ٢٨٦) إن هذه النار هى كل هذا ، إنها النار التى يتحدث عنها بلغة المجاز والإيحاء .. لغة الفلاسفة الحقيقيين .. إنها نار الحرية ، نار التفتح ، نار الإضاء والاستضاء .. نار التـكشف ونزع برقع الحجاب .. إنها نار الطريق « وقد إكتشف كارل رينهارت إحدى شـــذرات هيرقليطس فى كتابات هيبو ليتوس وأثبت صحة نسبتها إليه وبين أن النار (توربير) عنده تدل فى نفس الوقت على معنى المتفكر (تورغرونيمون) الذى

يهدى كل إنسان إلى الطريق ويدل كل شيء على مكانه . هذه النار المفكرة المادية تجمع كل شيء وتؤمن ماهيته وتحفظها عليه .

وهذه النار المتفكرة هى التجميع الذى يهيء (تحقق الماهية) ويقدمه . إن النار (بير) هى التجميع (اللوجوس) وتفكيرها هو القلب أى هو رحابة العالم التى (تنشر) الضوء والأمن ، (٢٣٦٥ : ٤٠٠ — ٤٠١) أى أن النار عند هيرقليطس تنشر الحب .. إنها الحب المسلح المناضل من أجل أن يتكشف وسط عتامة الأشياء وجه الإنسان .

إن هذه النار هى التغير وما وراء التغير .. إنها مصدر التجدد .. يقول بيرنت فى كتابه « الفلسفة اليونانية » : « ليس حقا فحسب أننا لا نستطيع أن ننزل النهر الواحد مرتين ، بل أيضا إننا لسنا نفس الشخص فى لحظتين متتاليتين » (٢٨١٦ : ٦٣) لكن وراء التغير تبقى النار .. ما وراء التغير هو التجدد .. وهذا التجدد هو نفسه النار .. يقول فى الشذرة (٩٠) « هناك تبادل ، فكل الأشياء للنار والنار لكل شيء ، مثلما يتم تبادل السلع بالذهب والذهب بالسلع ، إن النــار الهيرقليطية هى نفسها حركة الوجود والعدم ولهذا يقول هيجل : « إننا نقول — بدلا من إستخدام تعبير هيرقليطس — إن المطلق هو وحدة الوجود واللاوجود » (٣٤٤٥ : ٢٨٢) .

وهذا التغير هو نفسه الحرب الأبدية ، حرب الأضداد .. ولقد وصف هويلرايت هذا التغير فقال .. « إن التغير بالنسبة له معركة بالضربة القاضية بين ضدين وجوديين وليس هناك حكم » (١٤٩٧ : ٤٦) وهذه الحرب من أجل ألا يحيى الإنسان كالبهيمة والتخلى عن اللذات المباشرة . تقول الشذرة رقم (٤) : « لو كانت العادة قائمة فى المباهج الجسدية لكان يمكننا أن نعد الثيران سعيدة عندما تجد علفا تقتات به » ، ولهذا يطالبنا أن نطفىء نار الافراط لأنها أكثر ضراوة من النار الحقيقة .. وعلى هذا يجب الخروج من المباهج المباشرة

الفردية إلى البهجة المشتركة ، بهجة التناغم والمحبة و « الذين يحبون الحكمة يجب أن يكونوا متسائلين عن أشياء عديدة فى الحقيقة » (الشذرة رقم ٣٥) وهذا الغوص هو عينه الفلسفة فليست الحكمة زيادة وتراكما بالمعلومات . كما أن المعرفة داخل الذات ليست شيئا ذاتيا بل هى إدراك لحدود الإنسان . . يقول هايلاند فى كتابه « أصول الفلسفة » وهو يعلق على بعض شذرات هيرقليطس « المعرفة الذاتية تعنى على الأقل معرفة حدود الإنسان » (٣٥٢٨ ١٤٧) . . إن هيرقليطس مارس فعل التفلسف « لقد نقبت فى نفسى » (الشذرة رقم ١٠١) فماذا وجد ؟ وجد اللوجوس ، وجد رسالة الفلاسفة . إيقاظ النفوس وتسليحهم بهذه اليقظة . . ولقد غاص فى نفسه وفى نفوس الآخرين لكنه لم يصل إلى نهاية النفس لأنها طريق شأن الفلسفة . . وكل ما فعله أنه أومأ إلى الطريق . . ثبت إشارة مرور . . إنه أوحى ورمز . نوه بالحقيقة باعتبار الحقيقة هى التصرف وفق طبائع الأشياء . . ولقد أدرك إدراكاً عميقا لا تناهى اللوجوس فقال فى شذرته رقم (٤٥) . « أنت لن تتمكن من أن تجد أغوار النفس مهما قطعت جميع الدروب خلال سعيك . فلوجوس النفس أو قانونها العام عميق للغاية » . والحقيقة يجب أن يتوقعها الإنسان « إذا لم يكن لدى الإنسان الأمل فلن يجد ما كان يتوقعه ، فلا يوجد مسلك آخر يفضى إليه ولا درب » (الشذرة رقم ١٨) .

لقد سيطرت فكرة الواحد أو المبدأ الموحد على كل تفكير هيرقليطس من كل شىء يصدر الواحد ومن الواحد يصدر كل شىء . . وهذا الواحد نار خالدة ، عالم مشتعل إلى الأبد منذ الأزل . . إن هذا الكون كان ويكون وسيكون شعلة حية للأبد . . وهو يفكر فى النار السيالة لإنه على حد تعبير هيجل : « لا يعود قادراً — مثل طاليس — على اعتبار الماء أو الهواء أو أى شىء مماثل هو المبدأ المطلق — إنه لا يعـــود قادراً على هذا على شكل عنصر أولى منه تنطلق

بقية الأشياء لأنه يتكر فى الوجود على أنه فى هوية مع اللاوجود أو الفكرة اللامتناهية ومن ثم فإن المبدأ المطلق الموجود لا يمكن أن يكون شيئاً فعليا محددا مثل الماء بل يجب أن يكون الماء فى حالة تغير أو العملية وحدها » (٣٤٤٥ : الجزء الأول : ٢٧٦) وهذه العملية نار أبدية ، حرية متحركة : « العالم نار دائمة ، وانفتاح وانبثاق دائم بكل ما لكلمة (الفيزيس) [أو الطبيعة أو التحجب كما يفسرها هيدجر] من معنى وإذا كنا نتحدث هنا عن حريق أبدى يلتهم العالم فلا يجوز لنا أن نذهب إلى تصور عالم قائم بذاته ثم نتصور أن هناك حريقا شب فيه وأتى عليه . فالواقع أن العالم و (النار) و (الدائم الحياة) و (والذى لا يغيب أبدا) تعبر جميعاً عن نفس الشىء » (٢٣٦٥ : ٤٠٠) وهذه النار المنيرة هى نار الحرب من أجل الحب . ولقد لام هيرقليطس الشاعر هوميروس على إمكان تصوره لانهاء الصراع فلو حدث ذلك لانتهى كل شىء على ظهر الوجود . . ولقد اختار هيرقليطس أن يخوض الحرب التى دعا إليها ، وهذا ما جعله ينأى عن سلوك الدهماء النائمين مستهديا فى موقفه بقوله هو نفسه إن سلوك الإنسان هو إلهه الذى يحرسه . . واستهدف بحربه أن يربى النفوس فالتربية — كما يقول — هى شمس أخرى بالنسبة للذين يتعلمون . وهو فى حربه يستهدى باللوجوس الذى يكشف عن الضرورة وبهذا يجعل من التفلسف فعلا عقليا لا فعلا حدسيا فقد كان يرفض التخمينات فى عظائم الأمور . وبهذا الفعل العقلى رفض وظيفة الإشراف الكهنى التى عرضت عليه وأخذ يحمل على الديمقراطية لأنه تصورها هى قانون الدهماء وأوساط الناس . وجاءت حربه من أجل الحب . وجاء هو إلى العالم كالمسيح يحمل سيفا لا سلاما وأراد أن يقلب الموائد على المتاجرين فى معبد الرب المتشيئين النائمين . وعبر عن تجربته بالإشارات الإلهية وهو « كمفكر لم يعطنا إلا أن نفكر » (٣٤٥٩ ، ٧٢) .

نصوص شـذرات هير قليطس

خلق الإنسان جميلا . . .

٨٢ ـ ان اجمل قرد ، قبيح اذا ما قورن بالانسان ٠

تعد هذه الشذرة هي حجر الزاوية في كل فلسفة هيرقليطس ، فعلى أساس تحديده للإنسان ومكانته يحدد هو فلسفته ورسالته . ويكشف هيرقليطس هنا عن إيمانه العميق بالإنسان وأنه كائن جمالي في الأساس فالإنسان ليس مجرد حيوان بل هو إنسان وإنسانيته — كما ستكشف شذراته عن مفهوم العقل — تكمن في تمتعه بالعقل الكلي الذي لا ينحصر في ذاتيته الجزئية . وتفضح هذه الشذرة خطأ الدارسين الأوروبين الذين اعتبروه متشائماً فهو يظهر تمجيده للإنسان . وتظهر الشذرة خطأ بيرنت في كتابه « الفلسفة اليونانية » عندما يقول : « ليس هناك شك في أن هيرقليطس كان أرستقراطيا صارما ولديه احتقار شديد لجماهير البشر » (ص ٥٨) .

٨٣ ـ ان احكم الرجال يبدو قردا بالمقارنة مع الآلهة ، في الحكمة والجمال على السواء وكل شيء آخر ٠

غير أن الإنسان بفضل جماليته وحكمته لا يجب أن يغتر إن الإنسان كما سيقول الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشة (١٨٤٤ — ١٩٠٠) في كتابه « هكذا تكلم زرادشت » « وتر مشدود بين الدودة والإنسان الأعلى ، وتر مشدود فوق هاوية » إن الإنسان أجمل من القرد لأنه بحكم جماليته يتخلص من الدودة أو الحياة المنحطة ويسعى إلى أن يكون كالآلهة متصفا بالكمال فالنقص إذن جزء من نسيجه البشري وعليه أن يثبت بفعله في كل لحظة أنه جدير بهذه الإنسانية ومن ثم فهو في لحظة الآنية قرد إذا ما قورن بالآلهة .

٧٩ ـ يعد الانسان طفلا اذا قورن بالألوهية بمثل ما يعد الطفل طفلا اذا ما قورن بالنسان ٠

وتكمن قيمة الإنسان فى إدراك حدودة وهو ما سوف يعرض له هيرقليس فيما بعد بادراك النفس لنفسها ؛ وإدراك النفس لنفسها هو عدم تجاوز الحدود. وعلى هذا فإذا كان الإنسان جهلا بالنسبة للحيوان لأنه يحمل حياته بالعقل فإنه بالرغم من نزوعه نحو العقل الكلى محدود فى محاولته لأنه ليس هو العقل الكلى نفسه ولهذا فهو بالنسبة للآلهة ليس إلا مجرد طفل أما الآلهة نفسها فهى العقل الكلى نفسه .

٧٨ ـ الطبيعة الانسانية ليست لديها قدرة على الفهم الكامل ، لكن الطبيعة الالهية هى التى لديها هذه القدرة ٠

وعلى هذا يجب أن يدرك الإنسان أنه ليس هو العقل الكلى نفسه ـ محدود فى معرفته وليست لديه القدرة على الفهم الكامل فهذه القدرة تختص بها الالهة فحسب وذلك من جهتين : بحكم أنها تتصف بالكمال وبحكم أنها العقل الكلى نفسه فى كيانه التام . ولهذا يجب على الإنسان أن يحد من غروره .

وخلق الانسان مغتربا ...

١٠٢ - بالنسبة للآلهة كل الأشياء جميلة ورائعة وعادلة ، ولكن الناس هم الذين يفترضون فى بعض الأشياء أنها جائرة وفى بعضها الآخر أنها عـادلة .

والإنسان له طبيعة مزدوجة ، وهذه الطبيعة المزدوجة يمكنها أن تلوى عنق الحقائق والاشياء ويمكنها أن تعلن الحقائق برغم مايصيبها من مشاق . إن الإنسان هو الذى يسقط مشاعره ورغباته وأهواءه وتفكيره على الواقع إن الإنسان ليس مجرد وجود فى ذاته — كما يقول الفيلسوف الفرنسى الوجودى المعاصر جان بول سارتر المولود عام ١٩٠٥ وجود جامد ساكن شأن المناضد ولكنه وجود لذاته متحرك يدخل الوعى على العالم ومن ثم فهو يسقط الذاتية على الحقائق ويضفى الطابع الأخلاقى على الأشياء .

٨٩ - بالنسبة للايقاظ هناك كون منظم واحـد مشترك (بالنسبة للجميع) على حين أن كل انسان فى النوم يشيح (عن هـذا العالم) الى عـالم خاص به .

إن نسيج الإنسان هو إزدواج الدلالة ambiguity إنه مغترب، والاغتراب alien ation هو نسيجه والاغتراب باعتباره حالة جدلية يصاحب لدى الإنسان بفقدان النفس والتنازل عنها . والفقدان فى إتجاهين إما أن تفقد النفس ذاتها الأصيلة وتتشتت فى الموجود الجزئى وتصبح كالمناضد ويطرأ عليها التشيؤ reification وأما أن تفقد النفس ذاتها الزائفة المتجزئة وتكتسب ذاتا أصيلة متكاملة وتصبح فى مصاف الآلهة فى الحالة الأولى يصبح الإنسان سجين عالمه الجزئى ويحيا وحده ويدخل عالم النيام وفى الحالة الثانية يعيش تجربة مشتركة مع الجميع ويدخل عالم الايقاظ الكاملين . لقد تحدث هيرقليطس عن ظاهرة الاغتراب كظاهرة استشعرها بمثل مافعل الفيلسوف الشاعر الألمانى فريدريك شيلر (١٧٥٩ — ١٨٠٥) وذلك قبل أن يأتى الفيلسوف الألمانى فريدريك هيجل (١٧٧٠ — ١٨٣١) ليصك مصطلح الاغتراب ويقيم مذهبا متكاملا حول هذه الظاهرة التى يراها مزدوجة .

٢١ - ان كل ما نراه بعدما نستيقظ هـو الموت ، وكل ما نراه خـلال الرقاد هو النـوم .

إن الايقاظ وحدهم هم الذين يخرجون من سباتهم وتشيؤهم ويوجهون اغترابهم إلى التكامل . إنهم يكتشفون أنهم جزئيون ومن ثم يجب أن يميتوا عالمهم الجزئى ويقهروا انفصالهم عن الآخرين ويؤسسوا تواصلهم وهذا هو حقيقة قهرهم لاغترابهم . أما النيام فهم مسترخون مسترخون إلى عالمهم الخاص الجزئى الذى يميتهم ويميت غيرهم وهذا العالم لايكون هو العالم الحقيقى لأنه عالم الاحلام الذى يتبدى فى الرقاد .

١١٩ - طابع الانسـان هو قـدره .

وعلى الانسان إن يختار . إنه مزدوج الدلالة . يستطيع باختياره أن يضفى القبح والضلال على العالم كما يستطيع أيضا باختياره أن يضفى الجمال والحق على هذا العالم . ويصبح اختياره هو قدره الذى يعطيه طابعه هو قدره ولكن هذا القدر يتم باختياره بسبب اغترابه الجدلى وما فيه من ازدواجية . إنه باختياره إما أنه يدخل عالم الأشياء ومن ثم يتشيأ وأما أن يدخل عالم الآلهة ومن ثم يتكامل والأمر متوقف على الإنسان : فى أى اتجاه يود أن يوجه اغترابه ؟

٧ - لو كانت الأشـياء تتحول الى دخان لأصبحت الأنف هى عضـو التمييز بينهـا .

إن الإنسان يشكل العالم بقدر ما أن العالم يشكله . لقد خلقت لنا الآذان لاننا نسمع ، ونحن لانسمع لأن لنا آذانا . ولأن الأشياء فى العالم متباينة كانت لنا وسائل متباينة للمعرفة والتعامل مع الأشياء حتى نقهر التشيؤ ونؤسس التكامل من خلال جدل الاغتراب .

٨٤ب – يطرأ القلق (على العناصر المكونة للجسم البشرى) سواء بالنسبة لها عندما تكدح أو عندما تطيع .

فإذا كان الانسان مزدوج الدلالة وقادرا على اختيار إما عالم الكمل والكاملين أو عالم الأشياء والمتشيئين فان اختياره الأول يقتضى منه كفاحا ونضالا واختياره الثانى يقتضى منه استنامة وتلقى الأوامر من الآخرين مادام قد إختار عالم المتشيئين . لكنه فى كلا الحالين يكون فى حالة قلق ، لأنه باختياره إما سيكسب العالم بعد كدحه أو يفقد العالم مع إطاعته ، وهو قلق غير مرتبط بموضوع محدد على عكس الخوف الذى يرتبط بموضوع معين كالخوف من الفشل ، ولكنه قلق على الوجود فى عموميته والذى أما أن ينجو من هذه العدم أو يغوص فيها .

٢٦ – فى الليل يشعل الانسان ضوءا لأن بصره كليل ، وعندما يكون حيا يدنو من الانسان الميت خلال النوم ، وعندما يستيقظ يدنو من الانسان الذى ينام .

هذا هو جدل الاغتراب : صراع بين التشيؤ والتكامل ، صراع بين النوم واليقظة . والتكامل هو خروج من عالم النيام إلى عالم الأيقاظ . وعندما يستيقظ الانسان يكون قد أشعل قنديلا يضىء مستقبل حياته .

١١١ – ان المرض يجعل الصحة طيبة ورائعة ، ويجعل الجوع شبعا ويجعل القلق راحة .

ولقد عرف عن الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشة (١٨٤٤ — ١٩٠٠) أنه كان مريضا للغاية ، لكن هذا المرض هو الذى دفعه إلى المناداة بإرادة القوة ، أى إرادة الحياة لتتجاوز الحياة الحياة ، وكان هذا هو الذى أوصله إلى شاطىء الأمل . التشيؤ يكبل الإنسان ، لكنه هو أيضا فيه جانب جدلى يجعل الإنسان يتجاوزه ويقهره ليطل على عالم الايقاظ ، عالم الكاملين .

٦٨ – (يسمى هيرقليطس طقوس الأسرار المخجلة) أشكالا من العلاج .

إن التشيؤ درجات ، والخروج من التشيؤ يتم على مراحل وبطرق شتى . وبالرغم عن أن الطقوس جزء من بنية التشيؤ إلا أن بها فعل تجميع للناس فى لحظة أداء هذه الطقوس . ولحظة التجميع خطوة نحو الوصول إلى العقل الكلى الذى هو عقل التجميع والمحبة لإيجاد التناغم بين البشر .

٦٩ – (هناك نوعان من التضحية : نوع يقدمه الناس الأنقياء الأصفياء للغاية – كما يحدث أحيانا – وان كان بشكل نادر فى الفرد أو فى حفنة يسهل عدها ، والتضحية الأخرى تضحية مادية) .

وكما أن التشيؤ درجات والخروج من التشيؤ على مراحل فإن التكامل درجات والوصول إليه يتم على مراحل . والأمر شأن المجاهدات الصوفية والترقى عبر المقامات حتى نصل إلى مقام الحرية كما يقول الجنيد . لكن هذا يقتضى أشكالا من التضحيات أدناها التضحية بالمادة حتى تتأسس الذات وتخرج من الركوع لصنم المال . وأعلاها عند الذين صفت قلوبهم ووصلوا إلى مقام المشاهدة حيث يشهدون العقل الكلى . وهؤلاء هم الذين يؤسسون أنفسهم على الأرض المشتركة ، أرض التجمع .

١١٠ – خير للناس ألا يحصلوا على كل ما يرغبونه .

إن الرغبة تستهلك صاحبها . إنها أشبه بالخط اللامتناهى كلما سار عليه الإنسان بعدت عنه نقطة النهاية . والذى يفرق المتعة فى الفن – مثلا – عن اللذة المادية العابرة كما سوف يقول فيما بعد أرسطو ثم هيجل هو أن المتعة الفنية تستبقى موضوعها على حين أن الرغبة أو اللذة تستهلك هذا الموضوع . والاستهلاك يعنى أن يدخل الانسان برجليه مملكة الفناء .

١١٢ ـ الاعتدال هو اكبر الفضائل والحكمة هى أن تنطق بالحق وتسلك بمقتضى الطبيعة وتنبا (بالاعتدال) .

إذا لم يكن هناك سبيل إلى الخروج من التشيؤ إلا سبيلا واحدافهو الاعتدال . لكن الاعتدال عندهيرقليطس وغيره من مفكرى اليونان هو مراعاة حدود الأشياء وعدم تجاوز طبيعتها . يقول بيرنت فى كتابه « الفلسفة اليونانية »: ولقد ذهب أنكسماندر إلى أن كل الأشياء يجب أن تعود إلى اللامحدود ومن ثم ينال كل منها عقابا من الآخر بسبب جوره ، وما يعتبره هير قليطس أكتشافه الكبير يبدو أنه مرتبط بهذا القول ذاته » (ص ٦١) .

١٩ ـ أو'اه من أولئك الذين لا يعرفون كيف ينصتون أو كيف يتحدثون .

يقول الشاعر الألمانى فريدريك هولدرلين « (١٧٧٠ — ١٨٤٣) »« منذ أن كنا حوارا واستطاع بعضنا أن يسمع من البعض الآخر ». ويعلق الفيلسوف الألمانى مارتن هيدجر فى دراسته « هولدرلين والشعر » قائلا «منذ أن كنا حوارا ـ خبر الإنسان كثيراً من الأمور وسمى عديدا من الآلهة ومنذ أن (تأرخت) اللغة حقاً على هيئة حوار تحدث الناس عن الآلهة وظهر العالم » (هيدجر ما الفلسفة ودراسات أخرى : ص ١٤٨) ويضيف : « منذ أن هدتنا الآلهة إلى الحوار ، منذ ذلك الوقت وهو الزمان ومنذ ذلك الحين أصبح أساس آنيتنا حواراً » (ص ١٤٩) إن قيمة الإنسان كما يقول هيرقليطس هو الحوار والحديث وهذا يعنى الحرية لأنه يقتضى آخر نتحاور ونتحادث معه وهذا تأسيس للغة ، تأسيس للقول ، تأسيس للعقل .

٢٩ - يفضل خيرة القوم شيئا واحدا على ما عداه الا وهو المجد الخـالد بين الفـانين . أما الغالبيـة العظمى فتقنع بان تكون كالسائمة التى تقتـات .

لكن على هذا الاختيار فى لحظة القلق يتحقق الإنسان أو يموت. فالإنسانية « فعل »، فعل الوصول بالإنسان إلى الإنسانية . وعلى هذا فإن إختيار عالم الكاملين وتوجيه الاغتراب نحو التكامل هو إختيار القلة التى لا ترتضى بأقل من المجد . أما الكثرة فهى تستريح إلى عالم نومها وتفضل أن تعيش كالحيوان لاهم لها سوى عالمها الجزئى وقوت يومها الذى يكون فيه هلاكها .

١٣٧ - لقـد صدق القـدر على هـذه المسالة .

أترى يقصد هيرقليطس وجود التشيؤ والكمال والصراع بينهما وان الحرب هى سيدة الجميع وأنها هى العقل ؟

وخلق الانسان متشيئا . . .

٧٣ ـ لا يجب ان نتصرف ولا يجب ان نتكلم مثل النائمين .

المأساة الكبرى للإنسان عند هيرقليطس هى النائمون. إن النائمين هم المتشيؤون الذين يجردون العالم من حقيقته. والتشيؤ هو أن العلاقة الاجتماعية بين الناس تتخذ شكلا خياليا من العلاقة فتصبح وكأنها علاقة بين الأشياء، ومن ثم يعامل الناس كالأشياء (أنظر: Bullock, A. And Srallybrass, O. : The Fonrana Dicriondry of Modern Tnought) [أقوم الآن بترجمة إلى العربية] إن النائمين بحكم إنحصارهم فى عالمهم الخاص ومصالحهم الذاتية ينظرون إلى البشر على أنهم كالأشياء هى موضع الاستعمال . ولهذا فإن أول مطالب هيرقليطس هى ألا يكون نطقنا نطقا جزئيا وفعلنا فعلا جزئيا لأن هذا من شأنه أن يحول العلاقات الإنسانية بين البشر إلى علاقات بين اشياء .

٧٤ ـ لا يجب أن نتصرف أشبه بأطفال آبائنا .

إن النائمين علاقتهم الرئيسية فقدان التكامل وهذا الفقدان هو الصفة الرئيسية فى تصرف الأطفال . إن الأطفال لا يتبينون حقيقة العالم الذى هم فيه ومن ثم ينحصرون فى عوالمهم الذاتية .

٣٤ – انهم لا يفهمون وان كانوا يسمعون ، انهم أشبه بالصم . والمثـــل بنطبق عليهم : « حاضرون ولكنهم غائبون » .

وكيف نعرف هؤلاء المتشيئين النائمين ؟ أول صفاتهم أنهم لا يستوعبون جواهر الأشياء وأنهم لا يفهم حقيقة الأمور من حيث هى مترابطة ومتكاملة ولهذا فان وجودهم أشبه بالعدم . ويصورهم هيرقليطس بشكل قريب مما صوره القرآن الكريم بشكل أدق « إن شر الدواب عند الله الصم البكم » (الأنفال : ٢٢) و « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » (البقرة : ٧) .

١٢٨ – انهم (اليونانيون) يسجدون لآلهة لا تسمعهم وكأنها تسمعهم وهى لا تمنحهم شيئا بمثل ما لا تستطيع أن تطلب .

والصفة الثانية للمتشيئين النائمين أنهم يصنعون آلهة هى من صنعهم ثم يسجدون لعمل أيديهم . يقول عالم النفس الأمريكى إريك فروم الذى ولد عام ١٩٠٠ وتوفى عام ١٩٨٠ الصنمية Idolarory يقول فى كتابه « المجتمع السوى » : « الانسان ينفق طاقته وقدراته الفنية فى تشييد صنم ثم يعبد هذا الصنم الذى هو ليس إلا نتيجة جهده الخاص . إن قوى حياته قد حطت فى شىء وهذا الشىء وقد أصبح صنما لا يعاش على أنه نتيجة جهوده الانتاجى الخاص بل على أنه شىء بمعزل عن نفسه فوقه وضده ويعبده ويخضع له » .

وهذا المعنى قريب مما جاء فى العهد القديم : « أصنام الأمم فضة وذهب عمل أيدى الناس . لها أفواه ولا تتكلم . لها أعين ولا تبصر . لها آذان ولا تسمع كذلك ليس فى أفواهها نفس مثلها يكون صانعوها وكل من يتكل عليها » . (المزامير : ١٣٥ / ١٥ — ١٨) .

١٠٤ – اى عقل أو فهم لديهم ؟ انهم يؤمنون بشعراء الدهماء ويجعلونَ العامة معلمينهم ، انهم لا يعرفون « أن الغالبية سيئة والأخيار هم القلة ».

وتمتد الصنمية عند هيرقليطس إلى ما أسماه الفيلسوف البريطانى فرنسيس بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٦) بأوهام المسرح وهى عبادة العظماء وأقوالهم . إن المتشيئين النائمين يتبعون الشعراء الذين يوجهون شعرهم للسوقة وبأمل الحصول على رضاهم يزيفون الحقائق فى هذه الأشعار ويعتمدون على الإثارة . والقلة المستثناه هى التى لا تؤمن بالأقوال الشائعة لأنها تهتم بالحقائق .

٦٥ – الحاجة والتخمة .

لقد استطاع هيرقليطس أن يجمع فى هاتين الكلمتين كل عالم التشيؤ . إن العوز يجعل الإنسان يلتفت إلى الجانب المادى سعيا وراءه حتى يستريح ومن ثم يكتسب ذاتا غير ذاته الحقيقية التى تسعى إلى التكامل الروحى . والتخمة تجعل الإنسان يفقد ذاته الأصيلة خضوعا لصنم المال ويدخل طائعا إلا عالم النيام . والنائم مصيبته أشد لانه وهو يفقد ذاته قد لا يكتسب حتى ذاتا متشيئة وتصبح نفسه فقاعة صابون جوفاء .

٣٧ - تغتسل الخنازير فى الأوحال وتغتسل الطيور فى التراب أو الهشيم .

إن المتشيئين النائمين المحصورين فى ذواتهم ليسوا إلا خنازير إنهم غائصون فى الاوحال ملتصقون بالمادة فاقدون للبعد الروحى الذى يرفعهم درجات فوق عالمهم الحسى المباشر .

١٣ - لا تعربدوا فى الأوحال فان الخنازير تستمتع بالأوحال اكثر مما تستمتع بالماء النقى .

إن المتشيئين النائمين الذين لايرتفعون عن عالمهم الحسى درجات يستمتعون بأوحالهم وهى متعة رخيصة لاترقى إلى متع العقل والروح حيث النقاءوالصفاء ومن هنا كان صوت هيرقليطس صوتا نبوئيا مبشرا ونذيرا حتى يخرج الناس من عالمهم الطينى .

١١ - تساق السائمة الى المرعى بالضرب .

وهؤلاء المتشيئون النائمون وقد استحالوا إلى خنازير لايعيشون إلا على العبودية . لقد فقدوا ذواتهم الاصيلة واكتسبوا ذواتا زائفة تجعلهم يهربون من أن يعيشوا ذواتهم الحقة . لقد فقدوا الحرية واكتسبوا هذه الذوات المزيفة حتى يتحقق لهم ما أسماه عالم النفس الامريكى إريك فروم « الهرب من الحرية » ، وساعتها يقاد الإنسان بعصا الاوامر ويكون أشبه بالحيوان .

٩٧ - تنبح الـكلاب على كل من لا تتبينــه .

والمتشيئون النائمون لا يكتفون بأن يصبحوا خنازير برية تشيئأت وحدها ، بل هى تريد أيضاً من الآخرين أن « يتخنزروا » مثهم . إذا استحالوا إلى خرانيت فيجب على الآخرين أيضا أن يتخرتتوا ، مثهم على نحو ما صور الـكاتب المسرحى الرومانى المولد الفرنسى المواطنة أيوجين أيونيسكوا المولود عام ١٩١٢ فى مسرحيته « الخرانيت » . وإذا استحال المتشيئون النائمون إلى كلاب فإنها تنبح على كل من هب ودب ممن ليس من فصيلتها مبدية له عداوة لأنه لم « يتكالب » مثلها .

٩ - تفضــل الحمــير التبن على الذهب .

ولا يقتصر الأمر لدى المتشيئين النائمين على أن يتخنزروا أو يتخرتتوا أو يتكالبوا ، بل إنهم يتحمررون أيضاً ويصبحون من زمرة الحمير . والحمير بحـكم غبائها لا تستطيع أن تتبين جواهر الأشياء فتبعد عن الشيء النفيس الجوهرى وتبعد عما هو حقيقى ولا تقبل إلا على الأشياء السطحية التى فيها مصلحتها المباشرة ومن هنا إقبالها على توافه الأشياء وقشورها .

١٣٢ - ان التمسك بالمظهر الخارجي للشرف يسجن الآلهة والبشر ٠

إن المتشيئين النائمين لا يعنون بجواهر الأشياء ؛ بل يعنون بالناحية المظهرية ولهذا فإنهم يتحجرون . والتمسك بالمظهر الخارجي يصبح قيدا يحول بينهم وبين الجوهر فيضيعون .

٤ - لو كانت السعادة قائمة فى المباهج الجسدية لكان يمكننا أن نعد الثيران سعيدة عندما تجد علفا تقتات به ٠

إن المتشيء متعته مباشرة محدودة بالرغبات الجسدية لا الرغبات الروحية ، إنه لا يحلق ولا يرسم له أفقا ويفقد كل أمل بأن يرفع رأسه إلى السماء . ويقول لنا أرسطو إن رفع الإنسان رأسه إلى السماء معناه أن تكتب له الحرية لأنه يتحرر من الأرض وما هو جزئي ومباشر ومن هنا فإن الإنسان « يتشورن » لا هم له إلا إشباع المطالب الوقتية الحسية .

٢٠ ـ عندما يولدون يكونون راغبين فى العيش وتقبل مصيرهم (موتهم) ، ويخلفون وراءهم أطفالا ليصبحوا بدورهم ضحايا القدر والمصير .

إن عالم النيام المتشيئين هو عالم كوابيس عالم يتقبل العالم الملىء بفقدان الناس إنسانيتهم والرضى بمجرد العيش دون قتال تأسيسا للإنسان . ولاهم للنيام إلا أن ينجبوا أطفالا من فصيلتهم ويوسعون من رقعة عالم النيام فيزداد عالم التشيؤ اتساعا .

١٣١ ـ الغـرور عقبـة (كأداء) فى سبيل التقـدم .

وهؤلاء المتشيئون النائمون باكتسابهم ذواتاً زائفة تنحصر فى عوالمهم الخاصة يكتسبون أخلاقيات زائفة فيصابون بالغرور . وهو غرور يمنـــع تقدمهم لأن التقدم لايأتى إلا من الرجوع إلى العقل ، فالعقل هو الذى يحرر الإنسان أخلاقيا يقول عبد الرحمن بدوى فى كتابه « ربيع الفكر اليونانى » . « نجد أن أول بحث فى الأخلاق بمعناها الحقيقى عند اليونان ، كان هيرقليطس هو أول من قام به ، فقد كان يطالب بالحرية الأخلاقية وبأن يسير الإنسان على العقل فى أفعاله وبأ لايتبع العامة والجموع وكان من أجل هذا يحمل على الديموقراطية لأنها قانون العامة وأوساط الناس » (ص١٤٣) .

٢٢ - الذين يبحثون عن الذهب يحفــرون فى الأرض كثــيرا ولا يجـدون الا القليـل .

هذه هى حال المتشبثين الذين يهتمون بصنم المال ، يعبدونه لكنه صنم أصم لا يفيدهم شيئا . إنهم يحفرون كثيرا بحثا عن الجزئى والحسى ، فلا يجنون شيئا لأنهم يبحثون عما لا يجب البحث عنه .

٧٧ - بهجة للنفوس او موت لهـا ان تصبح رطبة ... اننا نعيش مـوت النفوس وتعيش النفوس موتنا .

المتشبثون النائمون يبتهجون إذا غرقت نفوسهم فى مستنقع ما هو جزئى وحسى لكن هذا الغرق عند الكاملين المستيقظين هو قمة المأساة وذروتها . فلكى يحيا حياة حقة يجب أن تموت النفس المتشبثة الأمارة بالسوء وتولد النفس الكاملة المطمئنة .

٩٨ - النفوس لهـا نفس الرائحـة التى فى الجحيم .

ربما يقصد النفوس التى لم ترتفع إلى مصاف العقل وظلت مقيدة بما هو جزئى وحسى وظلت وفى عالم النيام .

١٤ ـ الهائمون على وجوههم فى الليل والسحرة وعبـدة الـه الخمر باخوس والسـاحرات والصوفية : ان طقوسهم التى يتقبلهـا الناس فى أعياد الأسرار هى عروض غير مقدسة ٠

ومن مظاهر التشيئو الوقوف عند الطقوس الخارجية دون استبصار بلب العبادات . فالعبادة الحقة هى اسقاط كل ما عدا الله والإبقاء على وجهه . لكن الناس يصنعون الطقوس بأيديهم وهى غير مقدسة ويسجدون لها وبهذا يزداد جبل التشيؤ ارتفاعا .

١٥ ـ اذا لم يكن من أجل تكريم الـه الخصب والنماء ديونيسوس قيادتهم لموكب الاحتفـال وغناؤهم للترنيمة عن عضو الذكورة فـان جهـدهم سيكون مخزيا للغاية ٠ ولـكن الـه الجحيم حادس هو ممثل الالـه ديونيسوس يقدمون له مظاهر التكريم باداء العربدات الخاص بباخوس الـه الخمـر ٠

لقد انغمروا فى تشيئوهم حتى أنهم فى احتفالاتهم خلطوا بين الإله ديونيسوس إله الخصب والنماء والتجدد والإله حادس إله العمى والظلمة والجحيم .

٥ - انهم يطهرون أنفسهم بأن يلطخوا أنفسهم بدم الآخرين ، كما لو كان على الانسان أن ينغمس فى الطين لكى يغتسل من الطين • ولكن سيعد الانسان مجنونا اذا تصوره رفاقه وهو يتصرف على هــذا النحو • زيادة على ذلك ، انهم يتحدثون لتماثيلهم التى يعبدونها كما لو كــان الانسان عليـــه أن يتحدث الى منازله خـــلال جهله بطبيعة الآلهـــة والأبطـال •

يسخر هيرقليطس من الراغبين فى التطهير من الدنس بمزيد من الانغماس فى الدنس . وهؤلاء هم النيام الذين يتطارحون لآلهة هى من صنعهم .

١٢٧ - (الى المصريين) : « لو كانت آلهـــة فلماذا تلومنها ؟ واذا وجهتم اليها اللوم فلا يجب أن تستمروا فى عدها كالآلهة » •

إذا نحت الإنسان بنفسه تمثالا على أنه إله فلماذا يوجه إليه اللوم وهو من صنعه ؟ وإذا حدث اللوم فإن التمثال لايعد تمثالا . وهيرقليطس إنما يسير فى نهجه الذى اتبعه : مهاجمة المتشيئين النيام .

٣ ـ (بالنسبة لحجم الشمس) : انها بعرض قـدم الانسان ٠

ويتمسك المتشيئون النائمون بظواهر حواسهم ويقصرون معرفتهم على المعرفة الحسية فقد نحوا العقل جانبا وبدل أن تكون الحقيقة بحجم الشمس تتقلص وتصبح فى نظرهم بعرض قدم الإنسان فحسب .

١٧ ـ ان كثيرين من الناس ـ الذين يواجهون مثل هذه الأشياء ـ لايفهمونها ولا يلتقطونها بعد أن يتعلموا ، ولكنهم بالنسبة لانفسهم يبـــدون وكأنهم (يفهمون) ٠

يظن المتشيئون النائمون أن المعرفة الحقيقية هى معرفة ما هو جزئى والتوقف عند هذا . إنهم يفهمون الأشياء فرادى فى حالة انفصال . وهذا عكس الكاملين المستيقظين الذين يفهمون الأشياء فى حالة ترابطها .

١٠٧ ـ العيـــون والآذان شهود ســـيئة للناس اذا ما كانت لهم نفـوس بربريـــة ٠

لايرفض هيرقليطس شهادة الحواس على إطلاقها . ولكن هذه الشهادة مرفوضة تماما بالنسبة للمتشيئين النائمين الذين أكتسبوا ذواتا مزيفة بحيث لاتصلح العيون والآذان لتوصيل المعارف الحقيقية . أما من ليست لهم نفوس بربرية، بل كانت لهم نفوس كلية ارتفعت من ذواتها والعوالم الخاصة إلى ذوات الآخرين والعوالم الكلية فهى محصنة بالعقل ، ومن ثم لاخوف عليها من شهادة الحواس .

٩٥ – من الأفضل اخفاء الجهـــل (بالرغم من صعوبة القيام بهـذا فى حالة الاسترخاء وساعة احتساء النبيـــذ) .

أفلا يحسن بهؤلاء المتشيئين النائمين إخفاء جهلهم ؟ إن المهمة شاقة ذلك بحكم إكتسابهم لنفوس متشيئة زائفة ترى فى الجهل علماً . إنها نفوس سجنت فى تفضيلها لراحة النائمين ولهذا فهى تفضل الجهل على المعرفة التى تقتضى يقظة وإنتباها. وهى نفوس سجنت فى سكرها من خمرماهو جزئى ، ولهذا فهى تفضل الجهل على المعرفةالتى تقتضى الخروج من حالة السكر وصولا إلى يقظة ما هو كلى.

١٠٩ – انظـر : ٩٥

. . . .

(أنظر الشذرة السابقة مباشرة)

١١٧ – عندما يسكر الرجل فانه يتخبط ويقوده غـــلام صغير غير عارف الى أين يتجه وتكون نفسه قـد تشتتت .

إن المتشيئين النائمين تسكرهم توافه الأمور وينتشون بها ومن ثم يزدادون نوما ،وبهذا يضلون طريقهم ويدخلون إلى زقاق مقفل لامخرج له بسبب إنحصارهم فى أسطح الأشياء ويمكن لأبسط الناس أن يضللوهم فينقادون لأنهم صاروا كالحيوانات الخاضعة .

٧١ ــ (يجب ان يتــذكر الانسان أيضــا) الشخص الذى ينسى الى اين يفضى الطــريق .

إن الشخص الذى يفقد طريقه إنما هو شخص ران عليه تشيؤه وعبة بحجاب لايجعله يبصر العقل الكلى . وإن من ينسى طريقه حتى ولو دون تعمد إنما هو شخص يتخبط بعيش فى عالم التخمينات لاعالم الحقائق واليقين والضرورة . وهذا الشخص خطر على المقترب الساعى إلى الكمال . إن المتشىء لايقتصر تشيؤه على نفسه بل يحاول أن يجر الآخرين إلى تشيؤهم وهذا مكمن الخطورة .

٢٨ ــ ان الانسان المتظاهــر بالحكمة لا يعرف أو لا يحتفظ الا بما يبــدو ويظهــر ، زيادة على ذلك فان العقــاب يحيــق بناسجى الأكاذيب والشهادة (الزور) .

إن هؤلاء المتشيئين النائمين عالمهم عالم ادعاء لايعرفون الا ما هو متعلق بالحواس والوقوف عند أسطح الأشياء . ولهذا يسهل عليهم الكذب والخداع . ولهذا فإنهم يعاقبون أنفسهم بأنفسهم لأنهم يبتعدون عن عالم الأيقاظ الذى يوحد بين البشر ويكافئهم بالمحبة والوحدة .

١٣٣ ـ السيثون هم الأدعياء بنشدان الحقيقة .

بل ان هؤلاء المتشيئين النائمين تكون لهم اليد العليا في الحياة . انهم لا يكتفون بأنهم سجناء ما هو جزئي وحسي بل يرون أن ما يرونه من خلال شهادة الحواس هو الحقيقة ومن ثم فإنهم لا يكتفون بتشيئهم بل يريدون باعلانهم أن تشيؤهم هو الحقيقة أن يشيئوا بقية من لم يتشيأ بعد .

٣٣ ـ ان اطاعة ارادة انسان ما هى أيضا قانون (القانون السياسى) .

ان المتشيئين النائمين قد فقدوا العقل ، وبالتالى فقدا الانقياد للعقل فينقادون لكل ماخلا العقل بسبب أنهم نيام لهم عوالمهم الخاصة المنفصلة ومن ثم فإنهم يطيعون أصحاب العوالم الخاصة لا الباحثين عن الأرض المشتركة . وهذه الطاعة تأكيد للتشيؤ فبدل أن يطيعوا العقل الكلى ، يطيعون العقل الجزئى ، لكن هذه الطاعة هى بدورها قانون ، إلا أنه قانون الأشياء لا قانون البشر ، قانون التشيؤ والمتشيئين ، لا قانون الإنسانية والإنسانيين .

٥٨ ـ وعلى سبيل المثال فان الأطباء الذين يبترون ويكوون الجروح يطالبون بأجر بالرغم من أنهم لا يستحقون شيئا فهم يتسببون فى الآلام نفسها التى يسببها المرض .

إن عالم التشيؤ عالم واسع . فالذين يفترض فيهم أنهم يداوون الجروح يزيدون الجروح بمطالبهم المبالغ فيها أجراً للعلاج . أنهم يسببون ألما الروح بقدر ما أن الجرح يسبب ألما للجسم . إن المتشيئين من الأطباء يخرجون من إنسانيتهم ويدخلون مرضاهم عالم النيام .

٤٦ ـ الغرور هو الداء الأعظم (أى الصرع) .

إن الإنسان الساعى إلى الكمال ، أى الساعى إلى الوصول إلى مرتبة الآلهة والتحلى بالعقل الكلى يجب أن يدرك أنه طوال الطريق لم يصل بعد الى تكامله. فاذا تسلل اليه الغرور فمعنى هذا أن مرض التشيؤ قد أصابه وصرعه خلال الطريق وأعاقه عن مواصلة السير بل لجذبه الى الوراء خطوات .

٤٣ ـ يجب ان يخمد الانسان الغطرسة بدل أن يؤججها .

لقد اتهم هير قليطس بالتعالى على الناس ، لكن تعاليه كان فى حقيقته تعاليا على فئة منهم هم المتشيئين النائمين . انهم يتغطرسون ويستعلون على الكاملين المؤمنين باالعقل. وغطرستهم نابعة من عالمهم الخاص الجزئى الحسى لا من جدارة العقل الكلى الموحد للبشر والباحث عن الأرض المشتركة بين الجميع .

٨٧ ـ الرجل السخيف معرض لأن يكون متملقا فى كل كلمة (أو نظـرية : للوجوس) .

ولا يشتغل المتشيئون النائمون إلا على أرض النفاق لأنهم لا يتعاملون مع بعض بالعقل ، أرض الحقيقة ، بل بالحواس ، أرض الخداع. والخداع قد يفضى إلى التضليل والغش والتدليس والنفاق . وكما يقول الفيلسوف الوجودى مارتن هيدجر (١٨٨٩ — ١٩٧٦) فى كتابه « ماهية الحقيقة » : « الضلال الذى يمضى فيه الإنسان ليس شيئا يسعى بجانبه ويحاذى طريقه وكأنه حفرة يسقط فيها أحياناً وإنما الضلال جزء من تكوين الآنية التى خلى بين الإنسان التاريخى وبينها » (نداء الحقيقة — ترجمة عبد الغفار مكاوى ص ٢٨٩) أن الضلال بكل أشكاله جزء من نسيج الوجود الإنسانى أو الآنيه Dasein لأن الإنسان هو الكائن القادر على التشيؤ فالتشيؤ جزء من نسيج البنية الإنسانية .

١٣٠ - ليس من الملائم ان تكون مضحكا للغاية حتى انك تبدو انت نفسك مضــحكا .

إن المتشيئين يهتمون بالملبس والمأكل والمسكن وبكل ما هو خارجى خارج مملكة الروح . وهذا يحولهم فى أعين المغتربين الباحثين عن الكمال إلى دمى من شمع أو حواة أو مهرجين . وذروة التهريج أن يتحول الإنسان الذى هو من زوج إلى مهرج ويختار بنفسه أن يعمل مهرجا فى مسرح الحياة .

٧٥ - ان اولئك النائمين انما يعملون ويشاركون فى اوجه النشــاط الجارية فى الــكون .

وتصل ذروة فهم هير قليطس للتشيؤ إلى أن النائمين لايقتصر نومهم عليهم وحدهم وأنهم لايتشيؤن وحدهم بل يمتد التشيؤ إلى العلاقات فإنهم يسقطون تشيؤهم على العالم والإنسان والعلاقات بين البشر . إن المتشيئين لايهربون من الحقيقة إلى الضلال فحسب بل يقيمون العالم على أساس أن الجميع سلع تباع وتشترى . وكما يقول جورج لوكاتش (١٨٨٥ — ١٩٧١) فى كتابه « التاريخ والوعى الطبقى » « التشيؤ يقتضى أن يتعلم المجتمع أن يشبع كل حاجاته فى إطار تبادل السلع . . . إن العقل المتشيء يصر إلى إعتبار السلع الممثلة الحقة لوجودها الإجتماعى » .

٩٦ - الجثمان يستحق الاطاحة به اكثر مما يستحقه الروث .

إن النائمين المتشيئين يستحيلون إلى جثث ميتة . والجثث الميتة مآلها أن يقذف بها بعيدا . وهذا ما يمكن أن يقوم به المغتربون الباحثون عن الكمال والخروج من الحالة الجزئية وهذا جوهر الاغتراب : إنه حامل للتشيؤ وللتكامل معاً . ولما كان الضلال سمة كبرى فى التشيؤ وكان التشيؤ ذا علاقة جدلية داخل بنية الاغتراب فإن الضلال يحمل إمكانية عكسية : إن الضلال « يسهم فى نفس الوقت فى إيجاد تلك الامكانية التى يستطيع الانسان ان ينتزعها من الخارج وهى إمكانية ألا يقع فى الضلال » (هيدجر : نداء الحقيقة ص ٢٩٠)

وخلق الإنسان حكيماً . . .

٣٩ - الذين يحبون الحكمة يجب ان يكونوا متسائلين عن اشياء عديدة في الحقيقة .

بعد التخلص من جثة التشيؤ يبدا سعى المغترب الى التكامل وتبدأ رحلته بعمل الحكمة أسلوبه فى الفكر والحياة حتى يخرج من تناهيه وانحصاره فيما هو جزئى . والبداية وضع الوجود الجزئى الحسى موضع التساؤل والشك. والفلسفة بهذا كما يقول أرسطو (٣٤٨ ق . م — ٣٢٢ ق . م) ربيبة الدهشة بعد وضع الوجود موضع التساؤل . والدهشة — كما يقول هيدجر — تقربنا الى أنفسنا . غير أن التفكير الفلسفى ليس لهوا . يقول هيدجر فى كتابه « التفكير اليونانى المبكر » : « ان التفكير يغير العالم ، انه يغيره فى الأعماق الأكثر اظلاما للغز ، الأعماق التى وهى تزداد حلكة تقدم وعدا باستضاءة أكبر » (ص ٧٨) . وهكذا نجد أن النفس عند هير قليطس — كما يقول بيرنت فى كتابه « الفلسفة اليونانية » « لم تعد شبحا أو شكلا ضعيفا بل هى أكثر شىء حقيقى وأكبر صفة هامة لها هى الفكر أو الحكمة » (ص ٥٩) .

٤٠ - كثرة المعلومات لا تعلم انسانا حتى يتمتع بالذكاء والعقل ، والا لكانت كثرة المعلومات قد علمت هزيود وفيثاغوراس ولعلمت ايضا اكزينوفان وهيكاتايوس .

غير أن تراكم المعلومات ليس هو الطريق الى الحكمة فكثرة المعلومات لا تخلق انسانا جديداً ولا تجعله يفهم العالم فهما أعمق وينفى هير قليطس عن عدد من مفكرى اليونان القدماء صفة الحكمة لأنهم اعتمدوا على وفرة المعلومات فحسب. أولا الشاعر هزيود فى القرن الثامن قبل الميلاد أكبر الشعراء التعليميين فى ديوانه « الأعمال والأيام » وثانيا الفيلسوف اليونانى فيثاغوراس (حوالى ٥٨٠ق.م — ٥٠٠ ق . م) القائل بتناسخ الارواح . والفيلسوف أكزينوفان (٥٧٠ق.م — ٤٠ ق .م) مؤسس المدرسة الايلية النافية للحركة والكثرة . والمفكر اليونانى هيكاتايوس .

١٣٤ ـ التربية هى شمس اخرى لمن يتعلمون .

الوسيلة الوحيدة للمعرفة هى أن يضع الإنسان وجوده موضع التساؤل. يقول الفيلسوف الألمانى المولد الامريكى المواطنة بول تليش (١٨٨٦ ـ ١٩٦٥) فى كتابه « زعزعة الأساسات ». إن انسانا يقرأ خمسة آلاف كتاب قد يظل جاهلا. وقد يأتى عامل بسيط ذو ثقافة محدودة فيطرح أسئلة من نوع ما هى حياته؟ لماذا تكون هكذا؟ إلى أين تسير؟ ما هو المصير؟ فيكون تساؤله بداية انسحاب من عالم الحواس واقترابا من الذات سعيا الى معرفة جديدة تحدث له انقلابا فى شخصيته، وهذا هو جوهر التربية: أن تغير نمط التفكير السائد وتصبح شمسا هادية لخلق انسان جديد.

٤٧ ـ لا تدعونا نلق بالتخمينات كيفما اتفق عن أعظم الأشياء وأخطرها .

وسبيل هذه المعرفة شيئان. الأول سلبي هو عدم اقامة المعرفة على التخمينات ويحذرنا هيرقليطس من خطر التخمين بالنسبة لجلائل الأمور والأعمال فالمعرفة الحقة لا تأتى نتيجة الفروض التى قد تخطىء وقد تصيب.

٧٠ ـ (تخمينات الناس ليست الا) لعب اطفال .

إن التخمين فى المعرفة أشبه بلعب النرد قائم على الحظ . وهى لعبة إن كانت تلائم الصغار إلا أنها خطرة لو لعبها الكبار . إنها لعبة تلائم المتشيئين النائمين الغارقين فى عالمهم الخاص . أما المغتربون الباحثون عن الكمال فإن سبيلهم درب آخر .

٤١ ـ ان مايتصف بالحكمة أمر واحد : هو تفهم الغرض الذى يوجه الأشياء جميعا ويسيرها من خلال الأشياء جميعا .

والدرب الآخر للمعرفة الحقة سبيل إيجابى هو تفهم العلل والأسباب . البحث عن الضرورى ـ لاالعرضى ـ هو طريق الفيلسوف الحكيم الذى هو مثال الإنسان المغترب الساعى للكمال والضرورى عند هيرقليطس هو العقلى الكلى. يقول فلوطرخس فى « الآراء الطبيعية »: « إن ايراقليطس يرى أن الأشياء بالبخت وأن البخت هو الضرورة وان جوهر البخت هو النطق العقلى الذى ينفذ فى جوهر الكل وهو الجسم الأثيرى الذى هو زرع لتكوين الكل » (على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام الجزء الأول ص ١٣٥) .

١٠٨ ـ من كل اولئك الذين يتحدثون والذين استمعت اليهم لم يتبـين اى منهم ان ذلك الذى يتصف بالحكمة انمـا هو شىء مغايـر عن كل الأشـياء ٠

إن ما يتصف بالحكمة مغاير للمألوف . فالمألوف وقوف عند ما هو جزئي بينما الحكمة وقوف عند ما هو كلي . المألوف وقوف عند ما هو عرضي بينما الحكمة وقوف عند ما هو ضروري المألوف وقوف عند ما هو حسي بينما الحكمة وقوف عند ما هو عقلي . المألوف وقوف عند ما هو متشيء غارق في النوم في عالمه الخاص . والحكمة وقوف عند ما هو متكامل مستيقظ في العالم المشترك مع الآخرين .

٣٨ ـ لقـد كان طاليس اول من درس علم الفلك ٠

يمجد هيرقليطس أول فيلسوف يوناني وهو طاليس لأنه درس علم الفلك .
إن التخمين جزء من عالم التشيؤ ، بينما معرفة القوانين الموضوعية بداية طريق الحكمة ، والسير على درب المستيقظين .

٣٢ - ان ما يتصف بالحكمة هو وحـــده شىء واحد ، وهو يتارجح بـــين الرغبة وانتفائها فى ان يتسمى باسم الاله زيوس .

إن جوهر الحقيقة واحد ، المبدأ الموحد ، المبدأ الذى يجمع بالحب ، مبدأ الكل ، مبدأ الترابط ، مبدأ الضرورة ، مبدأ العقل ، مبدأ التكامل ومن ثم فإن العقل والوحدة والكلية والحب والضرورة والترابطية والتكاملية مترادفات فالحقيقة واحدة وكلها صفات للحكيم . وهذا الواحد ليس اسما ولكنه « فعل » ، فعل التوحيد والتجميع فكله حركة وهو يقتضى قتالا من أجل تأسيسه . يقول هيدجر فى « التفكير اليونانى المبكر » :

«الواحد الفريد يوحد ما هو مطروح ، ذلك المطروح الذى يجمع» (ص٧٠)
وهذا الواحد يتكون فى آخر الزمان شأن العقل عند ابن رشد وبعد قتال من أجل تأسيسه فالحرب جوهره من أجل واحديته ومحبته وتجميعه وكليته وضرورته وترابطه وعقلانيته وتكامله .

وخلق الانسان عاقـــلا

١١٣ – ملكة التفكير مشتركة بين الجميع .

وحتى يمكن أن يتصف الإنسان بالحكمة ويصبح الإله زيوس رب القدرة والمعرفة الكلية عليه أن يتحلى بالعقل ، الملكة المشتركة بين الجميع . إن الحواس خاصة بكل فرد على حدة ، فهى أرض التفرقة وهى أرض المتشيئين النائمين المتحفين بعالمهم الخاص . وإذا أراد المغترب خروجا من هذه الحالة فليس أمامه إلا العقل ، إلا أن « يعقل » ، بمعنى أن يفكر فالتفكير خروج من الجزئى وعالم النيام إلى الكلى وعالم الإيقاظ ، وساعتها يعانق الآخرين ويدخل معهم فيما يمكن أن يسمى بالجبهة الوطنية إذا استخدمنا لغة السياسة ويدخل معهم فيما يمكن أن يسمى بالأممية إذا استخدمنا لغة الأيديولوجيا ويدخل معهم فيما يمكن أن يسمى بالتوحيد اذا استخدمنا لغة الدين .

١١٤ – اذا تكلمنا بالعقل او بالحكمة فيجب أن نؤسس قوتنا على ما هو مشترك بين الجميع بمثل ما تؤسس المدينة قوتها على القانون (العقل) بل على نحو اقوى . ذلك ان كل القوانين الانسانية تتغذى بقانون واحد هو قانون الهى وهذا العقل يحكم الى المدى الذى يشاؤه وهو كاف للجميع بل هو أزيد من الكفاية .

يقول مارتن هيدجر فى كتابه « التفكير اليونانى المبكر » : « منذ العصور القديمة ولوجوس هيرقليطس جرى تفسيره بعدة طرق : العقل ، القانون الكلى ، المنطق ، الضرورة فى الفكر ، المعنى ، القوة الناطقة » (ص ٦٠) . وبسبب كليته فإنه كاف للجميع لإخراجهم من رقادهم حتى يدخلوا عالم الأيقاظ .

٢ - لهذا يجب أن يتبع الانسان اللوجوس أو القانون العـــام الا وهو ذلك الذى هو شـــائع لدى الجميع • ولكن بالرغم من أن القانون عام الا ان الغالبية تعيش كما لو كان لهم فهم خاص بانفسهم •

ان هذا العقل متحجب وراء مفاهيم الناس الخاصة . ان التحجب هو حقيقته وهو لا ينكشف الا بعد معاناة من جانب المقتربين الباحثين عن الخروج من التشيؤ الى التكامل . يقول هيدجر فى « التفكير اليونانى المبكر » : « العقل هو فى ذاته وفى الوقت نفسه كشف وحجاب » (ص ٧١) فاذا انكشف العقل كنا فى عالم الأيقاظ واذا ظل فى ظل الحجاب كنا ما نزال فى عالم النيام .

يقول هيجل فى الجزء الأول من « محاضرات حـــول تاريخ الفلسفة » : « العقل هو هذه العملية مع ما هو موضوعى : وعندما لا نكون فى ارتباط بما هو كلى فان كل ما هنالك هو أننا نكون لا نزال نحلم » (ص ٢٩٥) .

١٦ - كيف يمكن أن يتسنى لأى انسان أن يتخفى عن ذلك الذى لا يغـــرب أبـــدا ؟ •

فاذا كان هذا العقل هو الشمس الساطعة فكيف يمكننا أن نهرب منها ؟ يقول هيدجر فى دراسته « أليثيا » التى خصصها لهذه الشذرة فى كتاب « نداء الحقيقة »: « ان سؤال هيرقليطس يفكر — ان جاز هذا التعبير الحديث — بطريقة عكسية . انه يتفكر فى علاقة الإنسان بما لا يغيب أبداً ، كما يفكر فى الإنسان من خلال هذه العلاقة » (ص ٣٨٠) ان العقل يحتجب لكن احتجابه مؤقت لأنه لابد أن ينكشف بفعل الباحثين عن الكمال . يقول هيدجر : « ان هيرقليطس يفكر فى استحالة الغياب . واذا أخذنا هذا المفهوم اليونانى كان معناه استحالة الدخول فى الإحتجاب » (ص ٣٨٩) أى أن مصير العقل الكشف عن حقيقته ، فحقيقته هى الانفتاح .. يقول هيدجر : « لو تجرأنا .. على تغيير صيغة البنية السابقة من النص الى الاثبات تبين لنا أن هيرقليطس يفكر فى الانفتاح الدائم (ص٣٨٧) .

٧٢ ـ ان اللوجوس او العقل الكلى بالرغم من ان الناس يرتبطون به ايما ارتباط الا انهم منفصلون عنه ولهذا فان تلك الأشياء التى يواجهونها يوميا تبدو لهم غريبة .

ان هذا العقل الكلى ، الشمس الساطعة الأبدية ، والتى لا يستطيع أن يغيب عنها ، لا يمكن للانسان أن يهرب منه ، لكن الناس فى تشيؤهم ينفصلون عنه ولهذا تبدو الأشياء غريبة . والغربة التى تحيط بالعالم هى نتيجة الانفصال عن العقل الكلى . وهذا الانفصال جزء رئيسى من نسيج التشيؤ . ولهذا فان المغتربين الباحثين عن التكامل لابد أن يقهروا انفصالهم عن ذلك الذى لا يغيب أبدا لأنه عقل الهى . يقول جوثرى فى كتابه « الفلسفة اليونانية » : « ان اللوجوس عند هيرقليطس يمكن مقارنته أحيانا بمفهوم زرادشت عن الكلمة الالهية Ahuna Vairya والعقل الكلى Vohu Manq » (ص ٤٨٨) .

٥٠ ـ عندما ينصتون ـ لا لى بل ـ للوجوس او القانون العقلى ، فان من الحكمة الاتفاق على ان الأشياء جميعا واحدة .

ان هذا اللوجوس ليس مجرد ملكة معرفة فردية بل هو قانون عام موضوعى ومن ثم فان الانصات اليه يعنى الانصات الى الموضوعية ، الانصات الى أرض التوحيد الباحثة عما هو مشترك بين الجميع . يقول هيدجر فى ترجمة مبسطة لعبارة هيرقليطس فى كتابه « التفكير اليونانى المبكر » : « لا تنصتوا الى بل للطرح الذى يجمع ، دعوا المماثل ينطرح : وما هو مصيرى يحدث : فان الواحد يجمع الكل » (ص ٧٥) ويفسر هيدجر الاستماع على أنه انصات : « الانصات هو أساسا استماع تجميعى فما يُسمع يكون حاضرا فى الانصات ونحن نسمع عندما نكون كلنا آذانا » (ص ٦٥) ويضيف قائلا : « نحن لا نسمع لأن لنا آذانا ، بل نحن آذان ـ أى أن أجسامنا مزودة بآذان ـ لأننا نسمع » (ص ٦٥) .

١ - اللوجوس او القانون الكلى (للكون) هو كما هو وارد هنـــا مشروح ، غير أن الناس عاجزون دائما عن فهمه سواء قبل أن يسمعوا به او عندما يسمعون به لاول مرة • فبالرغم من أن الاشياء جميعا تظهر الى حيـز الوجود بمقتضى هذا القانون ، يبدو الناس كما لو أنهم لم يلتقوا به أبدا عندما يلتقون بالكلمات (النظريات) والأفعال (العمليات) على النحو الذى عرضته ، وهم يفصلون كل شيء حسب طبيعته ويشرحون كيف صنع • أما بالنسبة لبقية الجنس البشرى فانهم لا يدرون بما يفعلون بعد استيقاظهم بمثل ما ينسون ما يفعلونه وهم نيام •

ان هذا القانون الكلى أو العقل الموحد عقل عملى أيضا لحسب اطاعته يتحدد الانسان . يقول جومبرز فى كتابه « مفكرو اليونان » فى الجزء الاول : « ان الخضوع له وإطاعته هو الاختبار الاقصى للسلوك » (ص ٧٦) .

٦٣ - عندما تكون الآلهة هناك فان النفوس التى فى الجحيم تنبعث وتصبح حراسا للأحياء والموتى •

هذا هو دور العقلاء المستيقظين الكاملين. انهم بوصولهم الى الكمال يصبحون حراسا للحقيقة ، حراسا للإنسان كما يقول مارتن هيدجر فى دراسته « رسالة حول النزعة الانسانية » . انهم يحرسون الاحياء حيث يطلعونهم على جمال العقل، وهم يحرسون الموتى حتى يمنعوهم أن ينشروا تشيؤهم الى المستيقظين .

٦٧ ـ الآلهة هى النهار والليل ، الشتاء والصيف ، الحرب والسلام ، التخمة والمجاعة • لكنه يتغير اشبه بالنار التى عنـدما تختلط بدخان البخور تتسمى بحسب رغبة كل انسان •

هذا هو العقلى الكلى . إنه وحدة الأضداد وجدلها ؛ إنه عقل سيال ملىء بالحركة الجدلية . مبدأه الرئيسى . الحرب سيدة الجميع . وهذا العقل الإلهى لاينكشف إلا للصفوة من المقربين الكاملين المستيقظين . والذين لم يصلوا إلى هذه الدرجة كل يراه بزاوية خاصة ، فهم لم يصلوا إلى مقام المشاهدة .

١٢٠ ـ ان حدود الصباح والمساء هى الدب الأكبر وفى مواجهـة الدب الأكبر تقف علامة الحدود الخاصة بالاله زيوس رب السماء الواضحة •

إن حدود العقل هى نفسها حدود الإله زيوس رب الأرباب . إن حدوده هى الكل الجامع للصباح والمساء . إن التكامل هو حدوده ومنتهاه ؛ ولهذا فإن هذا العقل هو عقل إلهى .

٨٦ ـ (معظم ما هو الهى) يفلت من نطـاق التسليم بـه بسبب عـدم الايمـان •

يقول الأب ترتليان (١٦٥-٢٢٠) : إنى أؤمن ببعث المسيح لأن هذا محال . إن الإيمان يعنى التسليم باللامتناهى وغيبة الإيمان يعنى التسليم بالعادى والجزئى والحسى . الإيمان يرفعنا إلى الفريد والكلى والعقلى . ولهذا فإن الإيمان بالعقل جزء أساسى من مكونات العقل ، ولهذا فإن العقل عند هيرقليطس عقل إلهى .

٤٤ – يجب أن يقاتل الناس من أجـــل اللوجوس او القانون العقلى كما لو كانوا يقاتلون دفاعا عن أسوار مدينتهم .

فإذا كان العقل هو أرض التوحيد ، الأرض المشتركة ، أرض المحبة ، أرض الموضوعية ، أرض الـكلية ، أرض التـكاملية ، فإنه أجدر الأشياء بإتباعه . إنه يصبح أهم ممتلـكات الإنسان لأنه هو الملـكية الباقية الأبدية . واذا كان العقل عزيزا بهذا القدر فإنه الأجدر بالدفاع عنه والقتال من أجله ؛ فالدفاع عن الوطن والقتال من أجله محصور فى نظر هيرقليطس بالرقعة السكانية ، لـكن الدفاع عن العقل والقتال من أجله يوسع من الرقعة فيجعلها باتساع العالم كله ، باتساع العقل الـكلى ويصبح الدفاع عن العقل الـكلى والقتال من أجله جزءا جوهريا من نسيج الإنسان المغترب الباحث عن الـكمال خروجا من حالة التشيؤ .

وخلق الانسان مقلاتا

٨٠ - يجب على الانسان ان يعرف ان الحرب عامة والشريعة هى النزاع وكل شيء يبرز الى حيز الوجود عن طريق النزاع والضرورة .

إن العقل يتكون ثم يتكامل مع آخر الزمان ؛ ان العقل « فعل » تعقل ، والاستيقاظ من عالم النيام لايتم بتعويذة سحرية ، والتوحيد ليس شيئا بل عملية ، والحب ليس حجرا متكلسا منذ البداية بل يجب القتال من أجله وتأسيسه ومن ثم فان الحرب هى شريعة عامة . والحرب تستدعى الحقيقه من الخفاء الى الوجود وتنزع عنها الحجاب ، انها تظهر الضرورة ، تظهر العقل الكلى. ان الحرب اذن هى شريعة المغتربين الباحثين عن التكامل ، وبفضل الحرب تتأسس الحقيقة ويتأسس الإنسان ويتأسس العقل . ولهذا يجب الدفاع عن اللوجوس والقتال من أجله أكثر مما يجب الدفاع عن الوطن والقتال من أجل أسوار المدينة .

٥٣ - الحرب هى ملك الجميع واب الجميع ايضا ، ولقد اظهرت البعض على انهم آلهة واظهرت البعض الآخر على انهم بشر ، لقد جعلت من البعض عبيدا والبعض الآخر احرارا .

من أقوال هيرقليطس بصدد الحرب ما أورده جوثرى فى كتابه « الفلسفة اليونانية » يقول هيرقليطس مستنكراً : « الراحة والهدوء ؟ دعوهما للموتى حيث يعتان لهم » (ص ٤٤٨) وعلى أساس هذه الحرب يتم فرز الناس وتتضح معادنهم انهما اما أن تحررهم وتجعلهم متكاملين ضمن الايقاظ اذا أرادوا ما هو كلى. لكن اذا أرادوا ما هو جزئى كان مصيرهم أن يكونوا عبيداً ضمن النيام . وسوف يتردد هذا عند الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه فى آخر القرن التاسع عشر بدعوته للعيش على الخطر والدعوة للقضاء على أخلاق العبيد النائمين والدعوة لتأسيس أخلاق السادة الأيقاظ .

٨٥ – صعب النضال ضد دوافع الانسان ، فمهما يكن ما ترغب فيه انما تشتريه على حساب النفس .

ويخوض المقتربون الباحثون عن التكامل الحرب على عدة جبهات وأصعبها الحرب داخل النفس فهى حرب ضد رغبات الإنسان الجزئية المباشرة التى تشيؤه وتدخله عالم النيام . لكن النفس اذا انتصرت تكون قد كسبت نفسها والعالم لإنها تكون قد وصلت الى الكلى ، الى اللوجوس .

١٣٦ – نفوس الناس الذين يستشهدون فى المعركة اكثر نقاء من نفوس من يموتون من المرض .

ولهذا خير للإنسان أن يموت فى ساحة الحرب من أن يموت على فراش المرض . ان الموت فى ساحة الحرب يعنى أن الإنسان يناضل ضد التشيؤ ويسعى الى الكمال ليصل الى مصاف الآلهة . فإذا مات منتصرا فمعنى هذا أنه اكتسب نفسا مطمئنة وانتصرت هذه النفس على النفس الأمارة بالسوء .

٢٥ ـ كلما عظم المصير او زاد الأمر شـدة كانت المكافاة او الجزاء اعظم ٠

ويتحدث الفيلسوف الوجودى الفرنسى المعاصر جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠) عما يسميه « المواقف المتطرفة » . فأبطال أعماله الروائية والمسرحية يدخلون مآزق ليس لها الا حلان متطرفان ، ولهذا يـكون الاختيار صعبا كاشفا عن معدن الإنسان. لـكن الجزاء الذى يناله البطل باختياره الحق والسير فى طريق الحرب هو اكتساب لنفس أصيلة كلية والقضاء على النفس المتشيئة .

٢٧ ـ هنالك تنتظر الناس الذين ماتوا اشياء لم تكن تخطر لهم على بال ٠

وأكبر جزاء يناله المنتصرون فى ساحة القتال الوصول الى مايسميه الصوفية مرحلة الـكشف والمشاهدة حيث تستطع الحقيقة . لقد كانوا مختفين ومتحجبين فى المشاغل اليومية والجزئية ، كانوا متحجبين عن ذلك الذى لايغيب أبدا . فلما خاضوا الحرب رفعوا برقع التحجب وظهروا من الخفاء فتولدت الحقيقة وانبثق العقل الـكلى من أعماق الظلام وفى هذه المشاهدة يرون مالا عين رأته من قبل ولا خطر ببال أحد .

٢٤ ـ تكرم الآلهة والناس اولئك الذين يقتلون فى ساحة الوغى .

اذا كان على الناس أن يقاتلوا دفاعا عن العقل الكلي بضراوة أكثر مما يدافعون عن أسوار مدينتهم وأوطانهم فإن الناس يكرمون من يموتون استشهادا فى سبيل العقل بأكثر مما يكرمون من يستشهدون فى ساحة المعركة .

وخلق الانسان مجادلا . . .

لماذا [illegible] ؟

[illegible] الفلسفة [illegible] ضرورة للدراسات العلمية

[illegible]

[illegible] الفلسفة [illegible]

[illegible] الخارجي .

[illegible] السابقة عليه او بمعنى آخر [illegible]

[illegible]

٤ - [illegible] الفلسفة [illegible] الذي [illegible]

[illegible]

[illegible]

فسلوك [illegible] هي ما يترتب على العقل او [illegible]

[illegible] تشرع فيه [illegible]

١- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وكمال

[illegible]

[illegible]

love me : love my [illegible]

٢٣ ـ لن يتسنى لهم ان يعرفوا معنى الحق لو كانت الأضداد غير موجودة .

الحقيقة لا تنبثق إلا من أرض الضلال . فالضلال أيضا جزء من بنية الحقيقة . اللاحقيقة جزء من الحقيقة . فالضدان موجودان . ولرفع اللاحقيقة لابد من القتال . إن الحرب تخاض ضد أحد الضدين ، إنها حرب الأضداد . والتكامل فى صراع مع التشيؤ وهذه هى ساحة الاغتراب . فالأضداد أكثر أصالة وتأسيسا من حالة الوحدة بعد القتال . ولهذا أخطأ الفيلسوف المعاصر برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) عندما قال فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية »: « إن هيرقليطس يتحدث أحيانا كما لو كانت الوحدة أكثر أساسية من التنوع ».

٤٨ ـ القوس يسمى الحياة ولكن عمله هو الموت .

يتولد النغم لا من القوس والوتر بل من « صراع » القوس والوتر . إن الضد ليس بمعزل عن ضده بل هو متداخل فيه فالحياة هى موت مؤجل والموت هو حياة مبكرة . إن الذاتية فى صراع مع الموضوعية لكنهما على قدم المساواة . يقول هيجل فى الجزء الأول من « محاضرات حول تاريخ الفلسفة » : « الذاتية هى (آخر) الموضوعية وليست مجرد قصاصة من ورق لا معنى لها ، ولما كان كل منهما هو (آخر) (الآخر) باعتباره (الآخر) الخاص به فإننا نجد هنا هويتهما . هذا هو مبدأ هيرقليطس العظيم » (ص ٢٨٥) .

٩١ – لا يمكن للانسان أن ينزل فى النهر الواحد مرتين (فيستحيل ان يلمس المادة الفانية نفسها مرتين ولكن من خلال سرعة التغير) تتبعثر المياه وتتجمع ثانية (او بالاحرى لا تجمع حتى « ثانية » او « فيما بعد » ، لكن التجمع والانفصال متزامنان) وتتقارب وتنفصل •

إن القتال هو الأبدى. هذا هو الشيء الثابت فى عالم هيرقليطس. لكن هذا القتال يجدد الحياة لأنه قضاء على النشيئ واكتساب للكمال. وعلى هذا فإن العالم فى حالة سيلان والتغير قانون الحياة والصيرورة Becoming هى الحاكمة. يقول هيجل فى محاضراته عن تاريخ الفلسفة : « خطوة كبرى فى التفكير الانتقال من الوجود إلى الصيرورة حتى لو كانت مجردة باعتبارها الوحدة الأولى للتحديدات المتعارضة » (الجزء الأول ص ٢٨٥).

٤٩ (أ) – فى النهر نفسه نحن ننزله ولا ننزله ، اننا نكون ولا نكون •

ولقد شاع عند الدارسين أن زينون الايلى (حوالى ٤٩٠ ق . م — حوالى ٤٣٠ ق . م .) هو مخترع الجدل Dialectics لكن التفكير الجدلى سبقه فيه هيرقليطس بحديثه عن الصيرورة والتجدد القائمين على صراع الأضداد . إن الجدل ليس قطبين متعارضين فحسب بل هما فى حالة حركة وسيلان ويصب كل منهما فى الآخرين . وكما يقول ستيس فى كتابه « تاريخ نقدى للفلسفة اليونانية »: إن (تعاصر) الوجود واللاوجود هو معنى الصيرورة . إننا فى النهر نفسه نكون ولا نكون فى الوقت نفسه لا فى لحظتين متعاقبتين. بل النهر نفسه يكون ولا يكون فى الآن نفسه .

١٢ ــ التلاشى (التبخر) ان اولئـــك الذين ينزلون الهز نفسه تتـدفق من حولهم مياه مختلفة ٠ (والنفوس ايضا تتبخر او تتلاشى ممـــا هو جـــزئى) ٠

يقول جومبرز فى كتابه « مفكرو اليونان » : « لقد نوه هيرقليطس بأن قانون الأضداد متفوق فى الطبيعة على نحو لا يقل عن وجوده فى الحياة الإنسانية » (ص ٧١). إن الجدل عند هيرقليطس ليس مجرد ملكة معرفة يتصف بها العقل الإنسانى ، بل الجدل له وجوده الموضوعى أيضا ، إنه حركة الواقع بنفسه . ثم هناك جدل ثالث بين الإنسان الجدلى والواقع الجدلى ومن خلال هذه الشبكية الجدلية يقاتل المغتربون التشيؤ بهدف الوصول إلى الإنسان الكامل بلغة الصوفية والإنسان الشامل بلغة الفلاسفة .

٥٢ ــ الزمان طفـــل يلعب لعبة الداما : وتدبير الحكم قائم بين يـــدى ذلك الطفـــل ٠

يروى سكستوس أمبريكوس عن هيرقليطس أنه قال : « الزمن هو الوجود المجسد الأول » (أنظر « هيجل » محاضرات حول تاريخ الفلسفة » الجزء الأول ص ٢٨٦) وهذا هو جوهر الصيرورة . لكن لما كانت الصيرورة ـ كما يوضح ستيس فى كتابه « تاريخ نقدى للفلسفة اليونانية » ـــ ليست أنه فى آن واحد يوجد الوجود وفى الآن التالى العدم ، إنما الأمر يعنى أن الوجود واللا وجود هما فى كل شىء وفى الوقت نفسه ، يصبح الزمن هو جوهر الصيرورة . لكنه الزمن كما أوضح الفيلسوف المعاصر بول تيليش هو الآن الأبدى eternal now أو ما يسميه اليونانيون Kairos أى امتلاء الزمن جميعه وإطلاله على الأبدية .

٥٧ ـ هزيون هو معلم الكثيرين وهو لم يفهم لا النهار ولا الليل ذلك انهما شيء واحد .

إن الجدل كاشف للحقيقة ، باحث من خلال الصراع عن الجوهر الواحد . إن المظهر يقول باختلاف الليل عن النهار . هذه هى الرؤية الخارجية لكن جوهرهما واحد : الزمن الابدى . وكل ما هنالك اسقاطات من جانب الإنسان حسب منظوره للأشياء . يقول هيجل فى الجزء الأول من « محاضرات حول تاريخ الفلسفة » : « هذا الواحد ليس تجريدا ، لكنه النشاط الذى يقسم ذاته إلى أضداد » (ص ٥٨٤) .

٦ ـ ان الشمس لتتجدد كل يوم .

لكن جوهر هذه الواحدية التجددية : إن الوحدة مؤقتة لكن السيال أبدى لأن الحرب أبدية . يقول فلوطرخس فى كتابه « الآراء الطبيعية » : « أما إرقليطس فإنه كان يبطل الوقوف والسكون من الكل وكان يرى أن ذلك من شأن الموات . وكان يرى أن الحركة السرمدية هى للجواهر السرمدية وأن الحركة الزمانية للجواهر الفاسدة » (عن على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام الجزء الأول ص ١٣٥) .

٦٢ ـ الخالدون فانون والفانون خالدون ٠٠ ان كلا منهم يعيش موت الآخر ويموت حيــاتهم ٠

إن الأضداد ليست منفصلة ، بل هي متداخلة . وكما يقول هيدجر فى كتابه « ما الميتافيزيقا ؟ » ان الموت ليس نهاية لحن الحياة بل هو سار فى اللحن منذ أن يبدأ . ويعلق فيلون السكندرى (٣٠ ق م — ٥٠ م) على معنى الموت عند هير قليطس قائلا :

« ان ما يسميه الموت ليس فناء مطلقا ، بل تغيرا الى عنصر آخر » (عن جوثرى : الفلسفة اليونانية ص ٤٠٣) .

٦٠ ـ الطريق الصاعد والطريق الهابط طريق واحــد ٠

وظاهر الأمر أن المسائل نسبية لكن الباطن أنها مطلقة . انها الواحدية أما الإنسان فيدخل منظوره ويسقطه على الواقع . وعلى الإنسان أن يحارب نسبيته حتى يصل الى الحقيقة الواحدة . ان الطريق الصاعد والطريق الهابط واحد ولكن بعد قهر المظهرية والسطحية والحسية وإدراك البعد العقلى الكلى .

٥٩ ـ بالنسبة للولب أو القلاووظ فان الاتجاه المستقيم والملتوى واحد ٠

ان ما له طبيعة خاصة موجود بالضرورة ويشق طريقه بحكم هذه الضرورة نفسها سواء التوى طريقه أم استقام .

١٠ - الروابط : الكلى وما ليس بكلى ، المنفصل - المرتبط ، المتنافر - المتناغم .

ان هناك وحدة تربط بين الأضداد ؛ فبرغم التضاد لايكون كل ضد فى عالمه منفصلا عن الآخر ، بل هما - بلغة المنطق - متضايفان . ان هناك روابط تربط ما بين الكلى وما ليس بكلى ، بين المنفصل والمرتبط، بين المتنافر والمتناغم إن الأضداد محكوم عليها بالاتصال ، هناك ضرورة تربط بينها وهى ليست حرة فى وجودها المستقل . غير أن اتصالها لايعنى القضاء على مبدأ النزاع فاتصالها أو وحدتها اتصال مؤقت أو وحدة مؤقتة .

١٢٦ - الأشياء الباردة تستحيل حارة والأشياء الحارة تستحيل باردة والمبتل يجف والجاف يصاب بالرطوبة .

وبسبب تداخل الأضداد يتم التحول . ان التغير ليس تغيرا مفروضا بقدر ، بل هو يتم وفق قانون باطنى حيث أن الأضداد متعاصرة . فالاستحالة كما سوف يقول أرسطو فيما بعد معناها الكمون ؛ إن هناك وجودا بالقوة أو بالإمكانية قابع داخل الوجود بالفعل أو المتحقق ، وهذا الوجود بالقوة ليس شيئاً سالبا لكن له فاعليته وينتظر انبثاقه .

١٢٥ ـ ان مزيج الخمر ينفصل ايضا اذا لم يتم خلطه •

فإذا هدأ القتال يوما ما ـ لا بمعنى التوقف التام بل بمعنى السكون النسبى ـ ظهر النقيضان وكأنهما منفصلان بلا جذور تربطهما ، ولطغى نقيض على الآخر . والقتال هو الذى سيعيد خلطهما من جديد ليتكون مركب جديد يمثل ما نجده فى السير الجدلى عند هيجل عندما يتم التحول من الأطروحة إلى النقيض إلى المركب . غير أن المزيج الجديد حاو بدوره لنقيضه ويحتاج هو الآخر للقتال ليتحرك هو ونقيضه خلقاً لمزيج جديد . فالحقيقة فى كل آن ظهور وتخف، ولهذا فإن النزاع مطلوب فى كل آن .

١٢٦ (ب) ـ ان الشىء يزداد فى اتجاه ما والشىء الآخر يزداد فى اتجاه آخر وذلك بالنسبة لما ينقصه ٠

وهيرقليطس يحذرنا من اعتبار النقيضين على طرفى مساواة تامة وإلا انتهى الصراع ٠ وهذه نقطة محورية فى تفكيره وفى جدله ٠ لكن النقيض فى نفس الوقت لا تكون له الغلبة التامة وإلا انفرد بالعالم وانتهى النزاع٠ وربما استمد هذا من مفهوم الآبيرون عند الفيلسوف اليونانى أنكسماندر فهذا الأبيرون يحتوى كل العناصر لكنه لايسمح بطغيان عنصر على بقية العناصر وإلا اختفت طبيعته اللامتناهية واللامحدودة كيفا وكما ٠ وكل هذا من أجل أن تظل الحرب سيدة الجميع ٠ يقول جوثرى فى « الفلسفة اليونانية » : « هناك قانون فى العالم لكنه ليس قانون الدوام بل هو فحسب قانون التغير ٠ أو بطريقة التشبيه هو قانون الغابة حيث أن كل مايظهر إلى الوجود يتم بالنزاع، والحرب هى سيدة الجميع » (ص ٤٦١) ٠

٨٨ ـ وأى ما يكون فينا فانه نفس الشىء : الحياة والموت ، اليقظة والنوم، الشباب والشيخوخة أيضا ، فالطرف الأخير (من كل زوجين من الأضداد) وهو يتغير انما يتحول الى الطرف الأول وهو يتغير يصبح الطرف الثانى ٠

ان هير قليطس يركز على أن يحمل السلام سيفا من أجل أن يحقق رسالته وهذا كان موضع نزاع مع معاصريه ٠ يقول جوثرى فى « الفلسفة اليونانية » « لب نزاع هير قليطس مع المفكرين الاخرين يبدو أنه يكمن فى تمرده ضد مثالهم عن العالم السلمى والمتناغم » (ص ٤٤٨) ٠

١٠٣ - البداية والنهاية شيئان عموميان فى محيط الدائرة .

هذه هى حلقة الجدل . ان الأضداد فى حالة حركة ، لكن لايعرف متى بدأت هذه الحركة ومتى تنتهى . فالبداية داخلة فى نسيج النهاية والنهاية مفترضة منذ البداية . ان غاية الحرب السلام ، لكن السلام سلام محارب من أجل تأسيس نفسه والاثنان متناسجان فى محيط الدائرة نفسه .

وخلق الانسان ناريا . . .

٨٤ (ا) ـ ان النار الأولية تستقر من خـلال التغير (النار الأولية فى الجسم البشرى) .

إن الجدل نفسه يحكم أنه نزاع له طبيعة نارية لأن النار ليس لها مستقر ، بل هى شعلة مضطرمة حية . وجوهر النار التغير ومستقرها الأول الإنسان... إن الإنسان هو فى الأصل ساحة الحرب ضد التشيؤ قبل أن ينقل ساحة الحرب للعالم إنها نار محرقة للتشيؤ ولكنها فى الوقت نفسه هى نور الهداية وهذه طبيعتنا الجدلية . يقول هيدجر : « إن الإنارة لا تقتصر على إضاءة الكائن وإنما هى قبل ذلك تجمعه وتؤمنه فى الكينونة . . . إن الآلهة والبشر لا يستضيئون فحسب بنور معين ... إن النور يغمر ماهيتهم . إنهم مستنيرون أى مجمعون فى حدث الإنارة . ولهذا السبب فهم لا يحجبون أبدا بل يكشفون » (نداء الحقيقة : ٤٠٦) .

٦٦ ـ ان النار وقـد خيمت عليهم سوف تحكم على جميـع الأشياء وتقضى فيمـا بينهـا .

إن هذه النار المقاتلة تحكم بالعدل فتفرق بين التشيؤ والتكامل وهى تعاقب الأول بالإحراق وتكافىء الثانى بأن تكون نور الهداية . يقول هيدجر فى « نداء الحقيقة » : « هيرقليطس حين يتكلم عن النار يفكر قبل كل شىء فى الإضاءة » (ص ٤٠٠) ويضيف قائلا : « لقد اكتشف كارل رينهارت ... ان النار عنده تدل فى نفس الوقت على معنى المتفكر ... الذى يهدى كل إنسان إلى الطريق » (ص ٤٠٠ — ٤٠١) .

٦٤ ـ ان النار توجه العالم ٠

إذن النار هي العقل الكلي نفسه والتي تهدى المغترب لكي يخرج من عالم النيام إلى عالم الايقاظ . وعلى هذا فالنار توجه العالم . إن هذه النار كلها جدل وهي على حد قول هيجل : « هي الزمن الفيزيائي ، هي القلق المطلق ، التحلل المطلق ، التحلل المطلق للوجود ، الانتقال من جانب (الآخر) لكنه الانتقال أيضاً لذاته ومن ثم نستطيع أن نفهم كيف يسمي هيرقليطس النار فكرة العملية أو الصيرورة Process » (محاضرات حول تاريخ الفلسفة ، الجزء الاول ص ٢٨٧)

٩٠ ـ هناك تبادل : فكل الأشياء للنار والنار لكل الأشياء ، مثلما يتم تبادل السلع بالذهب والذهب بالسلع ٠

إن النار عنده هي رمز للتكامل ، ولهذا فإنه يوحد بينها وبين الأرباب . يقول جومبرز في « الفلسفة اليونانية » : عندما يتحدث عن الأرباب أو ما هو إلهي ، واضح أن ما في ذهنه هو اللوجوس ــ النار » (ص ٤٧٢) وعلى هذا هي المعدن الأصيل الذي على أساسه تقيم الأشياء ويتم تبادلها بها بل إن الصيرورة تنبع من النار لتصب ثانية فيها .

٣٦ ـ النفوس التي تصبح ذات طبيعة مائية وتغرق فيما هو جزئي مصيرها الموت ، بمثل ما ان المياه يميتها ان تصبح أرضا ٠ ومن الموت يظهر الماء ومن الماء تظهر النفس ٠

يقول ستيس في كتابه « تاريخ نقدي للفلسفة اليونانية » إنه كلما كانت هناك نار كان هناك مزيد من الحياة ومزيد من الحركة . وكلما كانت هناك مواد أكثر حلكة وثقلا كان هناك مزيد من الموت والبرد واللاوجود .

٧٦ — النـــار تعيش موت الأرض والهواء يعيش موت النار ، والمـاء يعيش موت الهواء والأرض تعيش موت المـاء .

إن النار هى وحدة الأضداد ، لكنها وحدة مؤقتة ، هى وحدة طاردة لأحد الأضداد ولذلك فهى فى جوهرها ليست مادة بقدر ما هى عملية . وقد أدرك هذا الفيلسوف المعاصر برتراند راسل فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » عندما قال : « النار هى شىء يتغير باستمرار ودوامها هو دوام عملية أكثر منه دوام مادة » (ص ٦٥)

٣١ — أول تغيرات النار : البحر ، ومن البحـر النصف أرض والنصف الآخر مزراب من المـاء الحار .. ان الأرض تسيل وتستحيل الى بحر وتعود الى قدرها بمقتضى القانون القائم قبل ان تصبح ارضا .

وهذه النار فى حركتها محكومة ، محكومة بكونها العقل الكلى، محكومة بالعدل إنها تسمح بالجدل ، تسمح بصراع الأضداد ، لكنها لا تسمح بانتهاء الحرب . إنها كلها تحولات ، لكنها محكومة بقانون العدل ، وقانون العدل هو قانون الحرب . وفى هذا يقول راسل بلمحة عبقرية : « إن ميتافيزيقا هيرقليطس — مثل ميتافيزيقا انكسمندر — يسودها تصور العدالة الكونية التى تمنع حرب الأضداد من أن تنتهى بانتصار تام لأحد الضدين » (تاريخ الفلسفة الغربية ص ٦٣)

٣٠ - هذا الكون المنظم والذى هو واحد بالنسبة للجميع لم يخلقه الـه من الآلهة او انسان من البشر لكنه كان ويكون وسيكون للأبد شعلة حية تضطرم بمقدار وتنطفىء بمقدار .

إن النار بحكم أنها عقل كلى فإنها هى أيضا العالم كله . إنها ليست مجرد ملكة لدى الفرد ذات طبيعة نارية ، بل هى الكون نفسه ، لأن الكون كله عقل . إن الكون إذن جدلى ، والجدل ليس مقولة ذاتية بل أصبح ذا طابع موضوعى . والنار هى حركة هذا الجدل ولهذا فهى حركة العالم . إن النار هى الزمن كله فالنار هى ما يبقى برغم كل صراع . إنها أصل الصراع وهى التى تغذيه وهى المتبقية بعد كل صراع فهى شعلة حية كانت وستظل للأبد .

١٢٣ - ان الطبيعة تحب ان تتخفى .

لكن هذا الكون لا تتضح طبيعته النارية دفعة واحدة ، إن النارية تتخفى . والإنسان هو الآخر ناريته تتخفى . إن الحجاب مسدل عليه وعلى الكون ، فالطبيعة تحب أن تتخفى وعليه أن يرفع الحجاب . ويقول كليمنس السكندرى (حوالى ١٥٠ — ٢١٥) :

« ربما استطاع إنسان أن يتخفى بعيدا عن النور المدرك المحسوس ولكن من المستحيل عليه أن يفعل ذلك مع النور الروحى » (عن هيدجر : نداء الحقيقة ٣٦٨) .

٩٩ ـ اذا لم تكن هناك شمس واعتمدنا للغاية على النجوم الاخرى فسوف تكون الدنيا ليـــلا حالـكا .

إذا لم تسطع شمس الحقيقة فلن نبين حدود النائمين من حدود الأيقاظ ولاختلط الحابل بالنابل .

٩٤ ـ ان الشمس لا تتجاوز مداراتها ، والا فان ربات العدالة توقفها عنـــد حـــدها .

هذه هى نار الحقيقة الحارقة والهادية : الحارقة للمتشيئين والهادية للكاملين. وهى بهذا لاتتجاوز حدودها . لحدودها تقليص الأرض تحت أقدام النائمين وتوسيعها تحت أقدام المستيقظين .

٥

١٠٠ ـ (الشمس هى حارسة تغيرات الفصول و) الساعات (الفصول) التى تظهر الأشياء جميعـــا .

إن شمس الحقيقة هى موضحة الحدود ، وهى حارسة هذه الحدود حتى لايختلط عالم الأيقاظ مع عالم النيام . وهى تحدد لكل عالم أوان مجيئه ومتى يطرد أحدهما الآخر .

وخلق الانسان عاشقا . . .

٨ - ان ذلك الذى فى تعارض لهـو الشىء المتماسك ، ومن الأشـياء التى تختلف يظهر اجمل تناغم .

لكن الهدف من الصراع ومن الطبيعة النارية المتحركة طرد التشيؤ وإحلال الكمال ومن ثم فالهدف هو الوصول إلى بر أمان ، الوصول إلى تناغم وتأسيس محبة . لكن الحب لا ينشأ إلا من الصراع . يقول جرثرى فى « الفلسفة اليونانية » « مذهب تناغم الأضداد له ثلاثة جوانب ؛ كل شىء مكون من الأضداد ومن ثم تخضع للتوتر الداخلى ، الأضداد متماثلة ، والحرب هى القوة الحاكمة والخلاقة وهى الحالة الحقة والسليمة للأمور » (ص ٤٣٩)

٥١ - انهم لا يفهمون كيف ان ما يختلف مع نفسه هو فى اتفاق : فالتناغم قائم فى التوتر بين الأضداد ، مثل التناغم القائم بين القوس والقيثارة .

يقول برتراند راسل فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » : « ان البحث عن الشىء الدائم هو غريزة من أعمق الغرائز التى تقود الإنسان الى الفلسفة وهى مستمدة بلا شك من حب الوطن والرغبة فى الحصول على مأوى من الخطر » . (ص ٦٤) وهذا هو معنى التناغم عند هيرقليطس ، انه روح التجميع من المختلف ان التناغم هو العقل الكلى و « فى تفكير هيرقليطس عن وجود (حضور) الموجودات يبدو العقل على أنه الطرح الذى يجمع » (هيدجر : التفكير اليونانى المبكر ص ٧٦) ويقول هيدجر أيضا : « التجميع يمت الى الجمع الذى يحضر الأشياء ويضمها تحت المأوى . ان المسكن يحكم الإيواء؛ المسكن بدوره محكوم عليه بالحفظ » (ص ٦١) .

٥٤ ـ التناغم الخفي أقوى من التناغم المرئي .

ان الصالح بين خطيبين مختلفين على من يشترى أدوات المطبخ هو تناغم خارجى تديره أسرتا الطرفين ، ولكن ألا تقام العلاقة بينهما على التفرقة بينهما وعلى المصالح المادية بل على الرابطة الروحية لهو التناغم الخفي ، ومن ثم تستحيل الرابطة الى ضرورة لا يمكن أن تنفصم . يقول هيجل : « انه يسمى هذه الوحدة في التضاد القدر أو الضرورة . وفكرة الضرورة ليست شيئا آخر غير هذا ، ذلك التعين يشكل مبدأ الوجود كفردى ولكنه بهذه الطريقة عينها يربط بضده : هذه هى الرابطة المطلقة التى تتخلل الوجود ككل » (محاضرات حول تاريخ الفلسفة ، الجزء الأول ص ٢٩٣) .

١٢٤ ـ ان أعدل الأكوان ليس الا كومة من التراب تجمعت كيفما اتفق .

لقد فسر مفكرو الاسلام معنى الضرورة عند هيرقليطس بالبخت واعتبروها شيئا واحداً . ان الكون العادل معناه تحقق العقل الكلى دون أن يطغى على الحدود وهذا يتم بالضرورة من منظورة أو كيفما اتفق من منظور الإنسان الجزئى . ان تحقق العدالة جزء من بنية العقل الكلي الذى يحقق ذاته من خلال التجميع .

٣٩ - فى بريني ولدت القوة ابنة التكرار ، والتى تعد شهرتها (أو قيمتها) اكبر من بقيـــة الخلق .

ان الحب ليس مجرد عاطفة ، ولـكنه قوة ، قوة قهر التشيؤ وتأسيس التـكامل بإقامة العدل ، والعدل يكون عادلا بسبب ما فيه من حب حيث يريد أن يساوى بين الطرفين هذا ما سوف يردده فيما بعـــد الفيلسوف المعاصر بول نيليش فى كتابه « الحب والقوة والعدالة » ان القوة تتـكرر وتـكرارها يعنى مواصلة قهر التشيؤ ، انها قوة مقاتلة ، قوة طاردة ، لـكنها فى الوقت نفسه قوة مؤسسة للعدالة .

وخلق هيرقليطس جميلا...

١٠١ ـ لقــد نقبت فى نفسى .

فإذا كانت فلسفة هيرقليطس قائمة على مجاهدات المغترب للتخلص من تشيئه وتأسيس تكامله ، وإذا كانت فلسفته دعوة للاستيقاظ من عالم النيام ، أفلا يمكن أن يكون هو قــد مارس هذه الفلسفة وحاول أن يستيقظ ؟ لقد بدأ مرحلته بالتنقيب فى نفسه. يقول برتراندراسل : ولقد اعتبر النفس خليطا من النار والماء ، النار نبيلة والماء حقير » (تاريخ الفلسفة الغربية ص ٦١) وأراد هو أن يصل إلى المرتبة النارية . إنه لم يرد أن يتبع إلا نفسه . يقول ديوجين اللائيرسى (القرن الثالث) : « لم يكن تلميذا لأحد ، بل يقال إنه بحث فى نفسه وتعلم كل شيء من نفسه » (جوثرى : الفلسفة اليونانية ص ٤١٦) .

٤٥ ـ انت لن تتمكن من أن تجــد أغوار النفس مهمــا قطعت جميع الدروب خلال سعيك : فلوجوس النفس أو قانونها العام عميق للغاية .

فماذا وجد هيرقليطس بعد أن نقب فيها ؟ لقد وجد أن العقل كلى ولهذا لا يمكن الإحاطة به معرفة ولا ممارسة وسلوكا على نحو مطلق . لقد اكتشف أن الحقيقة هى الوعى بالكل ولهذا فإن الوعى الكلى عميق للغاية . يقول هيجل : « الوعى كوعى بالكل هو وحدة الوعى بالحقيقة ، لكن الوعى بالفردية والفعل كفردى هو غير الحقيقى » (محاضرات حول تاريخ الفلسفة ، الجزء الأول ص ٢٩٦) .

١١٨ - ان النفس الكلية (التجمعية) هى أحكم النفوس وأفضلها •

لقد اكتشف هيرقليطس وقد نقب فى نفسه ، أن نفسه يجب أن تستحيل إلى نفس كلية وتخرج من جزئيتها . لقد عرف الاسلاميون هيرقليطس عن طريق أثولوجيا المشهور . إن أثولوجيا يذكر أن هيرقليطس أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس والحرص على الصعود إلى العالم الشريف وقال : (إن من حرص على ذلك وارتقى إلى العالم الأعلى جوزى بأحسن الجزاء اضطرارا . فلا ينبغى لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص والارتفاع إلى ذلك العالم وإن تعب ونصب فان أمامه الراحة التى لاتعب بعدها ولانصب) . ويذكر صاحب أثولوجيا أنه انما أراد بقوله هذا تحريضنا على طلب الأشياء العقلية لنجدها كما وجدها وندركها كما أدركها ، (عن : على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، والجزء الأول ص ١٢٦) .

١١٥ - للنفس قانونها (أو عقلها الكلي) الذى يزيدها (أى ينميها وفق احتياجاتها) •

أن عملية التنقيب فى النفس فى حد ذاتها اثراء للنفس لأن التنقيب أولى الخطوات لاكتشاف أغوارها وحدودها .

١١٦ - جميع الناس لديهم القدرة على معرفة أنفسهم والسلوك باعتدال .

وهذه القدرة ليست قاصرة على هيرقليطس ؛ فالعقل الكلى واحد فى الجميع ، والقدرة على الاستيقاظ قدرة مشتركة . وشرطها كما يقول بول تيليش فى كتابه «زعزعة الأساسات» الاستعداد ، لكن شرطها الثانى أيضا ألا يكون الإنسان قد وصل الى مرحلة التشيؤ التام . فلا يكون قد دخل عالم النيام فحسب ، بل لا يكون قد دخل عالم الموتى حيث لا رجوع .

٦١ - ان ماء البحـــر هو أنقى المياه وأشـدها تلوثا فى الوقت نفسه : وهو بالنسبة للسمك ماء صالح للشرب وباعث على الحياة ، لكنه بالنسبة للانسان غير صالح للشرب ومدمر للحياة .

ان الحقيقة ملتبسة ، انها ليست زجاجات كوكاكولا موضوعة على الرف نمد يدنا فنحضرها بل الحقيقة خفية مطوية . وهذا هو المعنى الخفى لعبارته وربما كانت سببا فى اعتباره مصدر نزعة الشك عند السوفسطائيين ، لقد اتهم النوبختى هيرقليطس فعلا بانه أب الشك والسفطة يقول النوبختى (ومن هؤلاء السفسطائيين من قال : ان العالم فى ذوب وسيلان . وقالوا . ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين لتغير الأشياء دائما) ، (عن على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، الجزء الأول ص ١٣٩)

٥٥ ــ ان تلك الأشياء التى كلهـــا بصر وسمع ومعـــرفة هى الأشياء التى أقدرها أكثر من غيرها •

ان هيرقليطس لا يقدر الا العقل وماله صلة بالعقل . لهذا فإنه بجانب العقل يمجد البصر والسمع . لماذا ؟ لأن هاتين الحاستين هما الحاستان الوحيدتان المرتبطتان بالعقل . فنحن عندما نسمع لا نسمع مجرد أصوات بل نميز هذه الأصوات ونحدد أصحابها . وعندما ننظر لا نرى مجرد أشياء أمامنا بل نرى علاقات بينها . والذى يقوم بهذا الربط هو العقل . وسوف يتردد تمجيد هيرقليطس لحاستى البصر والسمع فيما بعد عند أرسطو فى العالم القديم ثم عند هيجل فى العصر الحديث ولقد قصر كلا الفيلسوفين الفن على هاتين الحاستين لأن الفن عندهما نتاج عقلى يتبدى من خلف ستائر الإحساس .

١٠١ (أ) ــ ان العيون شهود أكثر عدلا ودقة من الآذان •

بالرغم من أن العقل يلعب دوره فى حاستى السمع والبصر . الا أنه يلعب دوراً أكبر فى الإبصار ، لأنه يحدد القبل والبعد ، والقرب والبعد ، ويحدد على نحو أشد العلاقات ويرتبط بالتاريخ ؛ فالبصر حاسة أكثر تركيبا من السمع لأن العقل يلعب دوراً أكبر فى حاسة الإبصار .

١٢١ – خير لكل راشد من اهل افسوس ، ان يشنق نفسه وان يترك دولة مدينته للشباب وذلك لانهم قد طردوا هرمودوروس خيرتهم بقولهم : « لا يجب ان نحتفظ حتى بانسان واحد ذى قيمة ، واذا وجب علينا هذا فلندعه يذهب الى اى مكان آخر ويعيش بين الآخرين » .

لقد نقب هيرقليطس فى نفسه واكتشف العقل الكلى . ولقد نقب فى مدينته أفسوس وهى المدينة التى هبطت فيها فيما بعد مريم العذراء فاكتشف فساد معظم أبنائهم وتشيؤهم ولهذا جاءت رغبته فى تطهيرها فدعا إلى فلسفته الجديدة الممجدة للإنسان الساخطة على التشيؤ والمقاتلة ضدها لتأسيس التكامل .

١٢٥ (أ) – آمل الا تفلتوا من لعنة الثروة يا رجال آفسوس حتى تقعوا ضحية شركم ! .

وحتى يطهر المدينة أراد هيرقليطس أن يصل سكانها إلى أعماق التشيؤ حتى يأتى التطهير مكتسحا . وذروة التشيؤ تشيؤ المال لقد أدرك هيرقليطس فى هذا الزمن السحيق أن المال هو قواد بين الإنسان والعالم وأنه المصدر الأساسى للاغتراب والتشيؤ فالمال هو الذى ينحى الانسان الكامل عن عرشه وينصب مكانه إنسانا متشيئا ثم يسجد له . فالمال إذن هو العمل المغترب وهو يكسب الانسان صفات ليست له على نحو ما صور شيكسبير فى مسرحيته « تيمون الأثينى » : « هذا العبد الأصفر ، يبارك الملعون ، ويجعل المجذوم المشوه معبودا ، وينصب اللصوص ويعطيهم مكانة وموقعا . أيها العاهر العام للبشرية الذى يضع النفايات بين حشد الامم » .

٨١ ــ (عن فيثاغوراس) كبير الغشاشين •

يعتبره هيرقليطس أكبر نصاب لأنه يقول بتناسخ الارواح ويعد بهذا حلقة في عالم النيام الذين يجب قتالهم .

١٢٩ ــ فيثاغوراس ــ ابن فيسارخوس ــ مارس البحث بشكل أفضل من جميع الناس واستخرج عبرا من هذه الأبحاث وألف حكمة خاصة به ، انها تراكم من المعلومات ، وهذه مهنة خطرة •

ولا يزال هيرقليطس يهاجم فيثاغوراس الذى ظن أن المعرفة تراكم معلومات، بينما المعرفة الحقة هى الرؤية الكلية .

٤٢ ــ ان هوميروس يستحق ن ينحى جانبا عن المسابقات الأدبية ويلقن علقة ساخنة ، والأمر نفسه يستحق آرخيلوخوس •

حلقة أخرى من حلقات النائمين الذين يرى هيرقليطس ضرورة قتالهم فالشعراء الشعبيون لا ينطقون بالحقيقة بل بما يرضى العامة .

١٠٥ ــ لقــد كان هوميروس نصابا .

إن هيرقليطس يهاجم بعض معاصريه والسابقين عليه ممن اتخذوا التشيؤ طريقا لهم . إنه يهاجم في هوميروس اهتمامه بأن يكتسب العامة بأقوال في شعره لا تصمد للحقيقة بل هي تتملق الأحاسيس العامة . ولعل هجوم هيرقليطس لهوميروس هو بذرة هجوم أفلاطون على شعراء المحاكاة المقلدين لعالم الحواس لا عالم العقل مطالبا بطردهم من جمهوريته .

٥٦ ــ الناس ينخدعون فى ادراك الأشياء المرئية بنفس ما يخدع هوميروس الذى هو أحكم جميــــع اليونانيين ، فلقــد خدعه أيضا الأولاد الذين يتلاعبون والذين قالوا : « ان ما رأيناه والتقطناه قــد خلفناه وراءنا ، ولكن ما لم نره ولم نلتقطه هو الذى حملناه وأحضرناه معنا » .

بغيبة العقل تغيب الحقيقة ، وتتأسس المعرفة السطحية الجزئية وهذا ما كان يعيب الشاعر هوميروس ، فهيرقليطس دائم النقد له بسبب تغلغل أشعاره فى نفوس اليونانيين مما أفسدهم وجعلهم لا يتطلعون إلى المعرفة العقلية .

١٠٦ - (يلوم هيرقليطس الشاعر هزيود على اعتباره بعض الأيام سيئة وبعضها الآخر رائعة) . ان هزيود ليس على بينة ان طبيعة الأيام جميعا واحدة .

إن هيرقليطس يهاجم الشاعر هزيود ، الشاعر التعليمي لأنه يأخذ التعليم من الخارج على أنه تراكم معلومات ، غير مدرك أنه لا فرق بين الليل والنهار لأنهما من طبيعة زمنية واحدة ، لأن هيرقليطس لا يبحث عن « الآن » بل يبحث عن امتلاء الزمن ، زمن الكاملين المستيقظين .

١٣٥ - أقصر طريق للشهرة أن يصبح الانسان خيرا .

هذا على عكس ما هو شائع . إن طريق الخير وعر لكنه أقصر الطرق . وجاء فى مسرحية « الشيطان والرحمن » لجان بول سارتر أن ارتكاب الشر سهل لهذا راهن البطل على ارتكاب الخير .

٤٩ - تعادل قيمة الفرد فى نظرى عشرة آلاف شخص لو كان هو الأفضل .

هذا لو كان من الأيقاظ ، المغتربين الكاملين الباحثين على العقل الكلى الموحد المؤسس الأرض المشتركة ، أرض الحب .

٩٢ - ان العرافة ، بفم يتحدث بحماس ، تلفظ كلماتها العبوسة الجهمة الجافة وتنشرها عبر الف سنة بصوتها من خلال (الهام) الآلهة •

واضح غرابة هذه الشذرة بالنسبة لتفكير هيرقليطس الذى يتحدث من داخل العقل الكلى والبحث عن عالم الايقاظ .

١٢٢ - (كلمة من أجل) التقدير النسبى •

واضح أن العبارة مقتطعة من سياق فلا يمكن تبين شيء منها .

١٢٦ (أ) - بمقتضى قانون الفصول ، يقترن الرقم سبعة بالقمر وينفصل عن مدارات الدب الأكبر ، وهذه علامات الذكرى الخالدة •

واضح أن هذه الشذرة لا تتفق وروح هيرقليطس .

١٣٨ - (مثل متاخر عن الحياة : ليس له طابع هيرقليطس) •

. . . .

١٣٩ - (وثيقة مزورة خاصة بالتنجيم من العصر البيزنطى) •

التنجيم بطبيعة الحال مخالف للروح العامة لهيرقليطس .وهذه الشذرة مشكوك فى صحتها .

٩٣ - ان الرب الذى تقوم معجـزته فى معبد دلفى لا يفصح ولا يخفى ولكنه يـــلمح •

وحتى يخرج المتشيئون من عالمهم وجه إليهم هيرقليطس دعوة للتفـكير، واختار أسلوب التلميح لا التصريح حتى يفـكروا معه فالتفـكير « فعل » لا إسم . ومن هنا صارت الأسطـورة بأنه الفيلسوف الغامض أو الملغز أو الـكئيب « فالمبشر ابن فاتك يذكره تحت إسم (يرا قليطوس الظلمى) نسبة إلى الظلمة » (عن على سامى النشار: نشأة الفـكر الفلسفى فى الاسلام، الجزء الاول ص ١٢٦) . كما أن «أفلوطين اشتـكى فى تساعاته : يبدو أنه يتـكلم متبسما غير عابىء بأن يجعـل معناه واضحا وربما يرجع السبب إلى أنه فى رأيه يجب أن ننقب أنفسنا كما فعل هـو بنجاح » (جوثرى : الفلسفة اليونانيه ص ٤١١) .ويقول هيدجر :« يوصف هيرقليطس بأنه المظلم وسوف يحتفظ فى المستقبل بهذا الاسم . غير أنه هو المظلم لأنه بالسؤال يتجه بفـكره نحـو الإنارة » (نداء الحقيقة : ص ٤١٢) . إنه نار حارقة للنيام ونورها دية للأيقاظ . وأكبر قيمة له هى — على نحو ما أوضح هيدجر :« إن هيرقليطس كفـكر لم يمنحنا إلا أن نفـكر » (التفـكير اليونانى المبـكر ص ٧٢) .

١٨ ـ اذا لم يكن لدى الانسان الامل فلن يجد ما كان يتوقعه ، فلا يوجـــد مسلك آخر يفضى اليه ولا درب .

جاء فى كتاب « هيرقليطس فيلسوف التغير » لعلى سامى النشار وآخرين أن دوجين اللائيرسى يسمى هيرقليطس « كاره البشرية » (ص ١٥) فهل الذى يتحدث عن الأمل هو كاره للإنسان ؟ إن هيرقليطس يعرف الإنسان بقدرته على الأمل . لقد سبق عالم النفس الأمريكى المعاصر إريك فروم فى كتابه « ثورة الأمل » عندما قال إن جوهر الإنسان هو أنه حيوان آمل وإذا كف عن الأمل كف عن الحياة . وإذا كان هيدجر يقول عنه إن كل ما أعطانا إياه هو أن نفكر فقد أعطانا الأمل رفيقا لهذا الفكر . ولكنه الأمل الذى يقاتل ، وإن « الرجل الذى قال (فى التفكير تكمن الراحة) ان يتردد فى القول (فى الحرب تكون فى السلام » (جوثرى : الفلسفة اليونانية ص ٤٤٤) .

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٤٥٤٨ / ١٩٨٠م

سلسلة النصـــوص الفلسفـــية

صـــدر منهـــا :

١ ـ « المونادولوجيا » و« المبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهى »
للفيلسوف الألمـانى **ليبنتز**
ترجمة وتقديم د. عبد الغفار مكاوى

٢ ـ ما الفلسفة . ما الميتـافيزيقا ؟ .
هيلدرلن وماهية الشعر
للفيلسوف الالمـانى هيـدجر
ترجمة ودراسة د. محمود رجب ـ فؤاد كامل عبد العزيز
مراجعة وتقديم د. عبد الرحمن بـــدوى

٣ ـ محاضرات فى فلسفة التـاريخ
للفيلسوف الألمـانى هيجل
ترجمة وتعليق وتقديم د. امام عبد الفتاح امام
مراجعة د. فؤاد زكريا

٤ ـ الفلسفة بمـا هى علم دقيق
للفيلسوف الألمـانى هوسرل
ترجمة وتقديم ودراسة عن الظاهريات وأزمة العلوم الانسانية
للدكتور محمود رجب
مراجعة د. فؤاد زكريا

٥ ـ جامع الحكمتـين
للفيلسوف الفارسى ناصر خسرو
ترجمة وتقديم ودراسة د. ابراهيم الدسوقى شتا

٦ ـ مبـادىء الفلسـفة
للفيلسوف الفرنسى ديكارت
ترجمة وتقديم د. عثمان أمين

٧ ـ المحاورات الثـلاث بين هيلاس وفيلونوس
للفيلسوف الانجليزى باركلى
ترجمة وتقديم د. يحيى هويـدى

٨ ـ « دحض المثالية » و« دفاع عن الادراك الفطرى »
للفيلسوف الانجليزى جورج مور
ترجمة وتقديم د. أحمد فؤاد كامل

٩ ـ « فايـدروس » أو عن الجمال
لأفـــلاطون
ترجمة وتقديم د. أميرة حلمى مطـر

١٠ـ مقـال عن المنهـج
للفيلسوف الفرنسى ديكارت
ترجمة وتقديم د. محمود الخضيرى